

# الملاحق

- نصوص .
- مقابلات .
- صور .

# نصوص

إن الجزء الأكبر من هذه الملاحق هو عبارة عن معظم آثار محمد المنصوري الغسيري المكتوبة ، والتي عثرنا عليها بعد أن كانت مبعثرة هنا وهناك ،فحاولت جمعها وترتيبها ترتيبا تاريخيا بدءا من أول نص نشر إلى آخر نص ، وبالإضافة إلى آثار محمد المنصوري الغسيري المكتوبة دعمت هذا الجزء بصور خاصة بالكاتب ،وكذا المقابلة التي أجريتها مع

صهره عبد اللطيف صالحى ،وأشير إلى أن الحلقة الخامسة من حلقات رحلة المنصوري التي تحت عنوان "عدت من الشرق" لم أعثر عليها رغم بحث دائم ومستمر والتي أشار إليها عمر بن قينة في كتابه "اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة الجزائرية الحديثة" وعنوان هذه الحلقة هو "الجزائريون في مصر" الموجودة في جريدة البصائر العدد 254 السلسلة الثانية.

### ملحق: 01

هذا الملحق عبارة عن خطبة ألقاها بمناسبة ختم الشيخ "ابن باديس" تفسيره للقرآن الكريم :

الحمد لله على نعمه والشكر له على فضله وكرمه , والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه وسيد أصفیائه ,وعلى آله وصحابته و أولیائه .

أيها الإخوة الكرام , أيها الوافدون على قسنطينة لحضور ختم التفسير , وشهود هذا الاحتفال البهيج ذلك الختم قل نظيره في تاريخنا وهذا الاحتفال العظيم بمعناه ومغزاه الزاهر بحضوركم فيه -حياكم الله وحياكم وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أيها الوافدون الكرام : لقد بعثتم في نفوس أبناء المسلمين روحا إسلامية جديدة قوية , ولولا الروح الإسلامية فينا ما كان احتفال أمس بختم التفسير , واحتفال اليوم لتكريم الأستاذ الكبير .

أعز الله بكم الإسلام ولغة الإسلام من بعد ما خالهما أقوام على وشك الزوال وأرجف أقوام بزوالها بالفعل فجنتم اليوم تفندون بصنيعكم هذا الحسبان وتدحضون هذا الظن الخاطئ وتقيمون الدليل الملموس على أنكم أبناء هذا الدين وهذه اللغة وأنكم انصارها تبذلون في سبيلهما كل قوة مادية أو معنوية وترفعون بهما شأن أمتكم العزيزة وتبتغون لها الفلاح والسعادة عن طريقهما وترجعون بأخلاق هذا الشعب إلى أخلاق القرآن حتى يتبوأ مكانه اللائق به بين الأمم.

واصلتم بين الجهود التي يبذلها العلماء العاملون لنهضة هذه الأمة وبين جهودكم من نصرهم وتأبيدهم فالتفتت جهودهم وجهودكم على تفهيم حقائق هذا الدين وتعليم أصول هذه

اللغة علما منكم أن السعادة التي تطلبها هذه الأمة لا تنالها إلا من هذه الطريق وأفهمتم المواطنين الأجانب بأعمالكم وثباتكم أن هذه الحركة كلها حرب على الجهل والامية وما ينشأ عنهما وكل متمدن فهو عدو لهذين.

أيها الإخوان الوافدون :أنتم همزة الوصل بين العلماء العاملين وبين سواد الأمة الذي لم تنزل قواه موزعة بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال فأحسنوا الوساطة وأحكموا التبليغ واعملوا لإرجاع المبطل إلى الحق والضلال إلى الهداية وقولوا للجميع :هاهي شرعة القرآن تسع الجميع ، وهاهو الحبل المتين فاعتصموا به وها هي حجة الله البالغة قائمة على الجميع فارجعوا إليه وادخلوا في حماه الآمن ،واتبعوا سبيله الجامعة ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.

حضرة الأساتذة الكرام :

نشهد لأنكم أسديتم للشعب الجزائري نصائح غالية وقدمتم لأبنائه أعمالا عظيمة لا ينكر فضلكم فيها إلا مكابر أو ضال ضرب بينه وبين الهداية الإسلامية بسور ، أما المسلم المهتدي الذي رباه دينه على عرفان الجميل لأهله فهو يشهد بالفضل لأهله وهو اليوم أعظم الناس فرحا بأعمالكم ومفاخرة بكم واعترافا بفضلكم.

أنا شاب مسلم من أبنائكم كتب له أن ينتلمذ للأستاذ الجليل "عبد الحميد بن باديس" خمس سنوات كوامل وأن يحضر من دروس التفسير غالب سور الربع الأخير من القرآن الكريم ، وأن يكون حظه من العربية أن صار يعبر عما في ضميره بلسان عربي ويكتب أفكاره بقلم عربي وحظه من الإحساس أن صار يحس إحساس أمته لا إحساسه الشخصي ويدرك حقيقة حالتها وطرق علاجها .

وبهذه الروح الشريفة التي اكتسبتها من ديني ولغتي وقومي أقف بينكم اليوم وأعلن فيكم باسمي وباسم زملائي في الطلب وعددهم في هذه السنة خمس وستون وثلاثمائة إننا ما عرفنا قيمة ديننا ولغتنا وقومنا وتاريخنا إلا من دروس الأستاذ ومحاضرات إخوانه الأبرار وخطب الخطباء اللسن وكتابات الكتاب الكرام منهم وإعانة الأمة الكريمة لنا على تتميم دراستنا بتشجيعاتها الأدبية والمالية ،فقهنا أننا أمة مسلمة عربية دليلها القرآن والسنة النبوية الغراء وهدي سلفها الماجد ، وخلقها محبة النفع لجميع الناس وزرع الخير بين جميع أفراد البشر

ونشر المحبة بينهم جميعا ففهننا إن الإسلام دين الله الخالد شرعه الله ليعز به عباده المستضعفين في الأرض ويسوي به بين طبقات الناس بالعدل والإحسان لتتم لهم سعادة الدارين وعز الحياتين.

ففهننا من أوامر الإسلام أن لانسعى في الإضرار بأحد ولا في إذلاله إذا مكنتنا القدرة من ذلك بل نعامل الناس كلهم بالإحسان وان لانبغض أحدا لشخصه أو لجنسه وإنما نبغض الشر من أية ناحية جاء ونمقت الظلم من أي جو هبت ريحه وأن نحترم الأجانب من ديننا ما احترمونا ونقدر شعورهم ما قدروا شعورنا ونأخذ كل مل هو نافع عند المم لحياتنا مع الاحتفاظ التام والتمسك الشديد بجميع مقوماتنا ثم لا نخشى بعد ذلك لومة لائم إذا نحن صرفنا جهدنا في تعلم لغتنا وديننا وتاريخنا علما من أن الأمة بدون هذه المقومات معدومة . وفقهننا بعد هذا كله أن هذه العمال الجلييلة التي يقوم بها علمائنا إنما هي ملقاة بعدهم على كواهلنا ،واننا خلفائهم وورثتهم فعظمت بذلك علينا الأمانة وثقل العهد وها نحن مستعدون لحمل هذه الأمانة ذلك متوقف على عزائنا وهممكم بعد عون الله .

إن مستقبلنا لجليل ولكن متوقف على عزائم قوية وهمم بعيدة في طلب المعالي ونفوس شابة تتربى على هذه الروح القرآنية الكاملة وعقائد راسخة في الحق، وبصائر نيرة فيه وكل هذا ميسور لمن حكم القرآن في نفسه .

ياقوم قد وعر الطريق أمامكم فإذا عزمتم تسهل الأوعار .

أيها السادة: إن أبناءكم تلامذة الجامع الأخضر في هذه السنة يمثلون أغلب مدن القطر الجزائري وقراه ،وان وفودكم في احتلال اليوم تمثل كذلك أغلب مدن القطر وقراه فاسمحوا لي أن هذه أعظم بشرى لأبنائكم برضى الأمة كلها عنهم واغتباطها بعملهم واهتمامها بشأنهم وإن هـا الاتفاق الغريب يحدث في نفس كل واحد منا شعورا بأنه ليس بغريب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجامع الأخضر .



## ملحق: 02

### محاضرة البحرية الإفريقية العربية ألقاها في إحدى ليالي رمضان بنادي عبد الحميد بن

#### باديس بقسنطينة:

لم تكن الأمة العربية في جاهليتها أمة بحرية ، بحكم الحياة البدوية التي كانت عليها ، وبحكم طبيعة الأقاليم التي لجأت إليها منذ عهد بعيد فسكنتها وكأنها نفورة من هذا التمدن الذي قد يحجب لها كل شيء حتى الرضى بالنير ، وغل الرقاب بسلاسل الاستعباد واستغلال قواها حتى الثمالة ولعلها عانت من الفرس في الشرق ، والروم في الغرب والشمال والحبشة في الجنوب من ذلك الشيء الكثير ، ولذلك نأت على الحية والأحياء فرضيت بالدون ، وعيشة الهون زمنا طويلا ، وهل كان ذلك كافيا في أعين الأجانب حتى يدعوها في شبه جزيرتها تتعم بهذا اللون من الحياة التي أرتضته لنفسها ؟ إن الحياة جارية على أس تنازع البقاء ،ومن لم يتعرض للحياة ويأخذ بسننها جرفته الحياة وألحقته بالغابرين البائدين ، وسيان عندها الأقوياء الجبابرة والضعفاء الخاملون فليستيقظ العرب . إذن . ويحذرون ، وكذلك كان بعض رجالهم الذين جالوا في الأقطار ، تجارا ، وروادا ، وطلاب مجد ، وحلفاء حروب ، أجل كان كل ذلك ، ومن الطبيعي أن يتأثروا بمظاهر الحياة الرغيدة ، التي يحيها أولئك الجيرة الأبعدون ، بل وحتى هؤلاء الأقربون المنادرة ، والغساسنة وأهالي نجران حلفاء خصوم إخوانهم العرب في وسط الجزيرة من فرس وروم وأحباش.

تأثر العرب بكل محاسن الحياة ، وأدركوا ما فيها من الحسنات ولكنه تأثر من ليس له خبرة بأساليبها ونظمها ، وهب أن العرب تأثروا بالسفانة البحرية وفن صنع السفن أيضا، فماذا تليفهم يعملون ؟ أما أن لنفحات القدر أن تترك هذه النفوس الضمأى إلى النور ، أما أن للجمالين أن يغدوا رعاة أمم ، بعد أن ظلوا طويلا رعاة جمل وغنم ، فليهبط الشعاع على قلب محمد بن عبد الله خير العرب وليكن النقد الأكبر لأمة أعدت واختبأها القدر أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، بعث محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا إلى العرب والناس كافة ، وحمل نبوة ورسالة ، وما النبوات والرسالات إلا ديانات سماوية نسقها باري السماء والأرض إلى سكان هذه ومن عليها .

بزغت شمس مدينة العرب ببزوغ شمس رسالة محمد الصادق الأمين . إذن . ونزل القرآن معجزة محمد الكبرى أمرا بامتلاك البحرية ، ولكن الكفاح في الداخل والخارج جله طويل ، وأجل استساغته لذة الكفاح في سبيل الواجب أطول ، والقوم في حاجة إلى نظام وتفكير فهدوء واستقرار .

وما نقضت حياة الرسول وخليفته أبي بكر وعمر إلا في العمل من أجل تحقيق الغرض داخل البلاد ، وإن يكن الطغيان والرعب إرغام الفرس والرومان أن يناصروا العداء لهما ويقسراهما على مواجهة الإعتداءات على المسلمين خارجها ، ذلك لأن الأقوياء لا يرغبون في إمتداد فروع العائلة ، ولا يحمدون لها العقبى وإذا أحسوا بنمو فرع جديد جد جدهم ، وعمدوا إلى الكيد والتفويض من قيمة زهوه ونموه أولا ، ثم إلى رفع الفؤوس واستعمال القوة وإعلان الحرب عليه ثانيا ، وهو ما جابه به الرومان والفرس دولة العرب الناشئة ، فقد حاولوا أن يقضوا عليها في مهدها وفي قلة من أتباعها وأنصارها ، فكانت وقعة تبوك في عهد الرسول كتجربة من إحدى الجهتين . سبقها . بلا شك تأمروا دس دسائس للعرب وإن بواسطة العرب أنفسهم وضد بلادهم ومدنيتهم .

جند الرسول الجنود ، وراح رجاله يردون العوادي ، يلاقون عدوا يفوقهم عددا وعدة ، وإن يكن لا يفوقهم إيمانا وصبرا وثباتا ، وكذلك فعل الخليفان كانت حروب وكان انتصار وانكسار ، تدرب خلالها العرب واحتكوا بأقوى الأمم فنقلوا عنها آلتها وطرق نظامها وحياتها ودرروا أخلاقها ومعايشها ، فجابها قوة بقوة وأسلوبا بأسلوب ، فكان نصر القادسية

على الفرس ، واليرموك على الروم ، يوم ضرب الخليفتان فيهما قياصرة وأكاسرة الروم والفرس الهرمين ، وأكاسرة العرب الشبان : سعد بن أبي وقاص ، والمثنى بن حارثة ، وعدي بن حاتم ، يكسرون من شوكة الفرس ، وخالد بن الوليد ، وأبوا عبيدة ، ومعاوية ، ويزيد وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص يزلزلون عرش روما ومجد روما زلزلة قضمته فلم يلتئم بعد يوم اليرموك حتى الآن .

غلب الروم في الشام ، وغادروا البلاد تاركين وراءهم إدارة ورعية وألوانا من العيش ف خلفهم معاوية بن أبي سفيان أميرا فإمبراطورا ، وكان لزاما عليه أن يفكر ويعمل وينظم ، وإن كانت البلاد مساحلة للبحر الأبيض المتوسط ، فإن عليه أن يفكر في بناء أسطول يحمي الساحل الشرقي للبحر الأبيض على الأقل ، وإلى حين ، يبني الأسطول ويتخذ الحصون ليأمن من غوائل الدهر ، ويسلم مجده من فجائع الأيام ، وفقا لسنن الله في الكون إرتأى معاوية ذلك فكتب عمر بن الخطاب يستشيريه في الغزو على البحر ، وما يملك أسطولا ، وإنما ملك بعض وحدات غنمها من الروم المغيرون على السواحل ، فكان من عمر أن يطلب من عمرو بن العاص يستوصفه البحر ، فيصفه له بقوله : " يا أمير المؤمنين إني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ، إن ركن خرق القلوب وإن تحرك أزاع العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، هم في كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق " .

ولما قرأ عمر الوصف كاتب معاوية قائلا : "والذي بعث محمد بالحق ما حملت فيه مسلما أبدا " فلما كان عهد عثمان بن عفان . رضي الله عنه . أذن لمعاوية أن يغزو من يغزوه في البحر فزوده بهذه النصيحة : "لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم ، فمن تطوع فاحمله وأعنه " ، ما كان لمعاوية من سفين يذكر ، وإنما كان يملك إرادة حديدية يستقر هم شبابيه إلى تعلم فن السفانة ، وبناء السفن ، ويستتهضهم إلى الإقتداء بغيرهم ، فعمد هؤلاء إلى قطع الأخشاب من أرز وصنوبر جبال لبنان ينشرونها ويبنون منها السفن ، ويقطرون منها بقطران دوحه وشجيراته وأنشأوا بينون المراكز على الساحل ، يخترعون فيها مخترعاتهم الجديدة ، فابتدعوا أسطولا حربيا خفيفا ما لبث أن فاق أسطول الرومان أنفسهم كما اخترعوا



أسلحة حربية فتاكة منها قذيفة يدوية محشوة بالزئبق والنفط الملتهب ما لبثوا أن استعملوها في اول غزوة بحرية غزوها .

كانت جزيرة قبرس أقرب جزر البحر الأبيض المتوسط الشرقي إلى شاطئ الشام وكان الرومان يغيرون منها سجالا ، فلما أعد معاوية عدته خاض البحر ، ومخرت سفنه عبابه لأول مرة غازية ، بعد أن استنجد بوالي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح فنجى بنفسه وبسفنه ورجاله ، غزا معاوية الجزيرة ومعه كثير من كبار الصحابة منهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرم بنت ملحان ( وهي أول امرأة عربية غزت في البحر وماتت داخل الجزيرة وراء عشرة عثرتها بها مطيتها )، كانت هذه الغزوة سنة 28 هجرية وكان النصر فيها للمسلمين العرب وأسطولهم وكان قائد الأسطول العام في الشام عبد الله بن قيس الحارثي ، قاهر أسطول الرومان في الحوض الشرقي للبحر الأبيض .

حدثنا بن الأثير عنه أنه كان يكثر الغزو شتاء وصيفا ، حتى إذا كان يوم خرج فيه في قارب صغير قاده بنفسه فلما أرسى بساطئ للروم تجمعوا عليه فقتلوه.

تلك صورة عن الأسطول العربي في الشام ، أما في مصر فقد انتقصت الإسكندرية على عمر بن العاص بإعزاء الرومان لها ، بعد أن وعدوها بالإعانة برا وبحر ، وفعلا ثارت ودخل الرومان المدينة بعد أن أرسى لأسطولهم على مرساهم فجند لها عمرو وحاصرها عدة أشهر ، ثم هدم سورها وافتتحها وطرد الرومان منها كما حاصر عبد الله بن سرح بأسطوله أسطول الرومان بالمرسى فلاذ بالفرار تاركا وراءه سفنا وبحارة أسرى ، كانت الهزيمة منكرا غضب لها الرومان فجندوا لها قافلة بحرية تعد حوالي 600 مركب تحت قيادة ملكهم قسطنطين بن هرقل وحين بلغ الخبر قائد البحرية العربية بمصر عبد الله بن سعد وكان متوجها إلى شمال إفريقيا رجع من طريقه ولما كان ببعض سواحل مصر استنجد بمعاوية وأسطوله الشامي فأنجده وقاد الأسطول بنفسه فالتقى الأسطولان العربيان بأسطول الرومان ببعض سواحل جزائر الدوديكانيز (اليوم) واقتريا من بعضهما وربط حبال السفن ببعضها فبات الفريقان في هدنة ، بات المسلمون يصلون ويكبرون ويقرأون القرآن ، وبات الرومان يغنون ويشربون ويرقصون ، فلما كان النهار بدأت المعركة البحرية العظيمة ، معركة من أروع ما عرف العرب من المعارك البحرية ، استعمل فيها الفريقان كل أسلحتهم حتى

الخناجر والحراب، واستعمل العرب فيها سلاحهم الجديد فأوقدوا بواسطته النيران في السفن فاندلع لهيبها وتناول كثيرا منهم بالإحراق ، فزع الروم ودهشوا فاستسلم كثير منهم ولأذ ملكهم بالفرار ، بعد جرحه وعلمه بالهزيمة الشنيعة ، وفر إلى صقيلية ، وما كان ينزل بها حتى ثار عليه شعبه فقتلوه جزاء ما جر عليهم من عار الهزيمة وذل الغلب .

كانت هذه الغزوة سنة 31 هجرية وسموها " ذات الصواري" وذلك لكثرة الصواري البادية من السفن الغارقة فوق سطح البحر بعد غرقها أو أثناءه .

رجع الأسطول العربي إلى مراكزه مختالا بين أحضان أمواج البحر المصفقة مزهوا نشوانا ، تملوه أعلام النصر الخفاقة وكأنه يناشد العراك ويهدد الخطوب ويقارع صروف الأيام ، وصل إلى سواحل الشام ومصر ، وغدا حارسا للبلاد والعباد حتى كانت 54 هجرية فإذا بالروم يعدون عدتهم للغزو من جزيرة رودس ، فتصدى لها معاوية إمبراطور العرب الأكبر بأسطوله ، وأمر عليه هذه المرة بحريا عربيا جديدا هو جنادة بن أمية الأزدي فهاجم هذا عدوه بالجزيرة ، ونزل بها وسبى وغنم ثم صالحه أهلها على جزية يدفعونها المسلمين العرب .

غلب الأسطول العربي البدائي الناشئ في سواحل البحر الأبيض الشرقي لأسطول روما سيدة الدنيا قبل ذلك بقليل وغلب سواق الإبل والغنم في بطن الجزيرة سواق سفائن الروم وارثي بحرية قرطجنة في التاريخ القديم .

وتلك صورة عن أسطولنا في مصر ، أما في شمال إفريقيا فقد فتح طارق بن زياد تحت قيادة موسى بن نصير ، بعد عجز عقبة على ذلك ، وتصريحه بكلمته المشهورة على ساحل الأطلنطي بعد أن أدخل جواده في الماء " يا رب محمد لولا هذا البحر لذهبت غازيا في سبيلك حتى لا يبقى على وجه الأرض من يشرك بك " .

فتح طارق الأندلس سنة 92 هجرية بأسطول شمال إفريقيا ، ويقول بعض المؤرخين أنه أحرقه بعد النزول بالساحل ، ويشك كثير من الناس في ذلك ما قد يجر من انتقاد البطولة العربية التي اتهمها بصنيعه قائد مغوارلا يعرف الخوف إلى قلبه سييلا . فتحت الأندلس وجاءها عبد الرحمن الداخل وأسس دولة بني أمية في الغرب بعد نكبتها في الشرق

، وذهب يهدنها ويجلب إليها اليمانية من العرب يوليهم ويؤثرهم بعطفه ، كمل ذهب ينقل إليها العلماء من الشرق ، وينشر فنون الحياة فيها من غروس وزروع ، وصنائع ، وعلوم مختلفة .

وما جاءت سنة 125 هجرية حتى غزا قائد أسطول الأندلس عبد الرحمن بن حبيب جزيرة سرдания بعد أن نزل بساحل أوروبا الجنوبي ، وكان العرب بالأندلس بينون أساطيلهم بسواحلها على الطريقة الشرقية مع زيادة في الإتقان ، كذلك فتح الأغلبة التونسيون سنة 224 هجرية في عهد زياد الله بن الأغلب للمرة الثانية جزيرة صقلية (إذ أن النزول بها وقع سنة 45 هجرية من قبل معاوية بن حديج ) ، كما فتحها للمرة الثانية سنة 323 هجرية أسطول المنصور بن القائم العلوي صاحب المهديّة وأخيرا غزاها ب120 سفينة مجاهد العامري سنة 360 هجرية ولم تغز بعد ذلك حتى ملكها الملوك الروماندين فخربوها واستأصل أحفادها من الصليبيين على مر الزمن شأفة العرب بتلك الجزيرة.



### ملحق: 03

#### محاضرة في البحرية الإفريقية العربية:

كانت " البصائر " نشرت في عددها الثالث القسم الأول من هذه المحاضرة ثم حدثت لصاحبها موانع صرفته عن إرسال بقيتها حتى الأيام الأخيرة فنحن ننشرها سدا لنقص عارض نرجوا أن يجد لدى القراء مما قدمناه ومن جهود المحاضر الفاضل مبررا .

تغلب العرب المسلمون على حوض البحر الأبيض المتوسط فلم ينسبوه لهم ، وإنما نسبوه إلى الروم ، وإن لم بحرهم إعترافا بأن الروم تمكنوا من إمتلاكه دهرا طويلا ، وخلفوا على ظهر جزره وشواطئه آثار مدينة لا يجهل مآثرها إلا جحود ، والعرب قوم يحترمون الغير في كل وقت لاسيما في وقت ضعفه وذله ، والروم قوم أدال الله عليهم في هذا البحر وذلوا بعد عزة وكبرياء ، فأضحت حالهم تدعوا إلى الشفقة والرحمة أفلا يكون من حقوقهم في سجل التاريخ أن لا ينسأهم بأنهم كانوا المالكين زمنا ليس بقصير كما أسلفنا .

غزا العرب جزائر البحر الأبيض بأسطولهم الجبار من عدة مراكز شرقية وغربية ، وكان أسطولا فتيا أرهب الظلمة الطغاة حيثما أرسى وأنى سار ، وقضى عهد بني أمية في الشرق ، وخلفهم بنو العباس ، فتوجهوا إلى الناحية العقلية يخدمونها ويسرفون في الإعتناء بها ناسين الفتح والسيادة على الأقطار الأخرى ، وكان بحكم خدمات الفرس لركابهم أن قريوه إليهم ، واستوزروهم وأمروهم فاستبدوا أثر ذلك حتى الخلفاء العباسيين أنفسهم ، إذ طمعوا في الدولة وحنوا إلى إعادة مجد الأكاسرة الميامين من ملوكهم وكان ذلك سببا في إثارة أحقاد وحفاظ كان لها ما بعدها من نكبة البرامكة ، وتضعف قوى الدولة العباسية في شتى نواحيها الحيوية .

ظل الضعف يسري في شرايين الدولة العباسية حتى طمع فيها القريب والبعيد ، فنازعها السيادة العرب والفرس معا ، وأعد لإبادتها الأجنبي التتري فأبادها في القرن السادس للهجرة ، وكان طبيعيا أن يضعف معنى الخلافة ن ويسخر منه الأقارب منباب أخرى الأبعاد ،وهنا ترى المغرب العربي يستقل ويعلن انفصاله عن الدولة ولا يدعو أيتمه للخلفاء على منابر مساجد شمال إفريقيا ، إذ آنس من نفسه القوة ، وخال نفسه أحق بالحكم في شؤون المسلمين من ملوك المسودة المهازيل .

وفي هذه الأثناء انتقلت الأساطيل من حوض البحر الأبيض الشرقي إلى حوضه الغربي وبخاصة حين اشتم رائحة الفوضى السائدة ، أضف إلى ذلك ما ينشره من الدعاية ضد الخلافة العباسية الأمويون وأشياهم في المغرب والأندلس ، كل ذلك جعل العرب يعنون ببناء مجدهم فوق ربوع الشمال والغرب من إفريقيا وأوروبا .

على أن العرب منذ وطئت سنايك خيلهم أرض الشمال ، وأرست سفائنهم على شواطئه شرعوا ينشؤون الدور لبناء السفن فوق أديمه ، والتاريخ يحدثنا بأن أول دار أنشئت لبناء السفن إنما أنشأها بتونس حسان بن النعمان الغساني ن في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمد حسان بصناع من القبط يعملون له ، كما حدثنا التاريخ أن القائد الأعلى للجيش العربية الإسلامية يومئذ موسى بن نصير ما بنى أساطيله التي فتح بها الأندلس إلا في سواحل طنجة .

روى البكري أن بونة ( عنابة ) كانت لها دور عديدة لصناعة السفن وكانت تخرج من

فرضها، وخلصها الشواني ( المراكب المعدة للجهاد ) غازية شتى جزائر البحر منها سيردانيا ، وكورسيكا ، وما إليها وكان بشرق بونة مرافئ لإعداد السفن يقصدها الغزاة من كل أفق ، في مدينة الخرز ( القالة ) لأن مقطعها يقرب من سيردانيا بمسافة مجريين ( والمجرى مائة ميل بحري ) .

وكانت المهديّة وسوسة مركزين هامين لبناء السفن في عهد الأغالبة والعبديين ( وهؤلاء هم الذين تنسب إليهم المهديّة التي أسسها عبيد الله المهدي 308 هجرية ) .

كانت المهديّة موقعا حربيا محصنا ن يربط به أكبر جيش بحري لأعظم أسطول غزا به العبديين كثيرا من سواحل أوروبا ، وبلاد العالم الإسلامي أيضا ، وبه فتح القائد جوهر الصقلي بحرا مصر ، كما غزا بها بحرا في جيش يناهز المائة ألف جندي ، هم وحدهم الذين مكثوا المعز لدين الله الفاطمي من النقلة إلى مصر ، وهم الذين اختطوا مدينة القاهرة وبنوا الجامع الزهر حوالي 358 للهجرة .

وكان الأدارسة بالمغرب يبنون السفن على شواطئ الريف وعلى مقربة من قاعدة طنجة ، زمن هذه يتصلون بالأندلس والعالم الخارجي فاتحين وتجارا ومنجدين .

أما الأندلس الخضراء أو فردوس العرب المفقود ن فقد كان بها أسطول جبار فتح الكثير من جزر البحر الأبيض ن ونزل بسواحل كثيرة من بحر الظلمات (الأطلسي اليوم ) ، وكان عهد عبد الرحمان الناصر أزهر عهود الأسطول الأندلسي ، إذ به فتحت البليار وبه نزل العرب في سواحل كورسيكا وفرنسا الجنوبية ، وبه فتحوا مليلة الإفريقية سنة 314 هجرية .

ولعل ذلك كان بعض ما أثار أحقاد الصليبيين فتألبت جموعهم ، وانتظموا تحت راية الصليب يشعلونها حروبا طاحنة لا تبقي ولا تذر في الشرق والغرب معا ، وكان حظ الغرب منها أوفر ن حيث رزق الشرق منقذه صلاح الدين الأيوبي الذي علم أوروبا معاني النبل وشرف المقصد ن تكالب الصليبيون ن وحصلوا على قوى فعالة في الغرب ، وملكوا ناصية خطة الهجوم عوض الدفاع وما حل عهد الدولة الحمادية حتى عرف المغرب العربي القراصنة النورمانديين ، وفي سنة 537 هجرية طرقت جيجل ، واحتلوها ، فنهبوها وخربوها فيها قصر النزهة الذي بناه يحيى بن عبد العزيز الحمادي ، وهو آية في الفن العربي

المعماري ، سفكوا فيها الدماء ، وسبوا الحريم ، وما نجا من أهلها إلا من تعلق بالجبل ، ولم يغادروها إلا خاوية على عروشها .

لم يكن لهؤلاء قبل بالأسطول العربي لولا ضعف صنهاده ، ومجيء الهلاليين إلى هذا الوطن ، وتوالي الحروب والفتن بين العرب أنفسهم ، وبين العرب وأوروبا كذلك وما عرف العرب سرورا ، ولا هدأوا بالآ حتى ولى شؤونهم أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بعد تغلبه على أعدائه في الداخل والخارج ، ولقد فتح بجاية في 460 هجرية واستولى على المهديّة بواسطة جيوش برية يحاذيها أسطول بحري جرار سنة 555 هجرية ، وبعدها شرع في مطاردة النورمانديين من سواحل البحر الأبيض ، وأنشأ يهاجمهم في سواحلهم الأوروبية ، وأوقع بهم إيقاعا مؤلما في غير ما مرة وذلك ما دعا المسلمين العرب إلى مبايعته مباحة الخلفاء الراشدين على السمع والطاعة ، وما لبثت مملكته إلا يسيرا حتى

امتدت إلى التراب المصري شرقا وإلى الأطلسي غربا ، وإلى الأندلس الشرقية شمالا . كان عبد المؤمن بن علي وبنوه معنيين كثيرا بالأندلس ، وأحداثها العظمى الرامية إلى إبادة المسلمين العرب إبادة لن تقوم لهم بعدها قائمة ، وكان لهم جيش بري بحري ما استسخره دوما إلا لإنقاذ المسلمين ، ويرون أن الجيش الذي خرج به الناصر للاستيلاء على الأندلس بلغ مليون رجل ، وكان لهم اسطول ورثوه عن صنهاده ، وأضافوا إليه قطعا كثيرة في مختلف المنابيات ، منها أن عبد المؤمن أنشأ ببجاية سنة 557 هجرية 400 قطعة فرقتها على سواحل المغرب والأندلس ، وكان يصنع لها الأسلحة والمجانيق والرعادات ، ويضرب لها كل يوم عشر قناطير من السهام .

كانوا معنيين بالأندلس كثيرا حتى أن يعقوب المنصور لما حضرته الوفاة جمع بنيه في حضرة جمع من الموحدين فأوصاهم قائلا : " أوصيكم بالإيتام واليتيمة " ف قيل له : " وما الإيتام واليتيمة ؟ " فقال : " اليتيمة الأندلس والإيتام أهلها " .

ومصادقا لوصيته سقط شهيدا فوق ثراها الزكي ولده يعقوب يوسف على أمل أن تظل الأندلس فردوس العرب الخالدة ، ولكنه هيهات أن يتحقق ذلك الأمل مادام أبناء الأندلس

أنفسهم يعملون ضد مواطنيهم ، مستعينا بعضهم على بعض بعدو الجميع المشترك: إسبانيا.

ولم تكن البحرية العربية في البحر الأبيض المتوسط بحرية حربية فحسب ، بل كان للعرب أسطول تجاري واسع النطاق أيضا ، ولقد حدثنا التاريخ أن عبد المؤمن بن علي عقد شتى المعاهدات التجارية مع أوروبا : أشهرها معاهدة بينه وبين جمهورية جنوة (الإيطالية اليوم) سنة 548 هجرية وبمقتضاها أوفدت هذه قنصلها ( أوطوبون ) إلى الجزائر ، ولقى من عمال عبد المؤمن كل حفاوة وإحترام ، وأمضى المعاهدة بعد أن سن شروطها ، ورضى بها الفريقان ، ووراءها أسست جنوة ، شركات تجارية بمختلف أنحاء المغرب بضائعها المختلفة المطلوبة ، كما تستورد منها مواردها الخام الفائضة على الإستهلاك المحلي .

" وكان بجاية قنصل للدولة التجارية الكبرى لحفظ حقوق رعايا دولتهم وكاتب خاص لضبط حساب تجار دولته وتقديمه للدوانة المؤمنة " .

وكانت مراسي الجزائرالتجارية الكبرى يومئذ "هنين" غرب وهران (وقد خربها شارلكان) ثم يليها المرسى الكبير شرقا ، فوهران ، أرزيو ، مستغانم ، تنس ، شرشال ، الجزائر بجاية ، جيجل ، القل ، استورة ، بونة .

لكن التاريخ يمضي في أحقابه وأحداثه لا يعرف شفقة ولا رافة بالأمم التي تتنازع أنواعا من السيادة الخالية ، وضروبا من المطامع الحقيرة منشأ غالبها الهوى والأنانية والأثرة والكبرياء السخيفة ، وهي جماع ممن شأنه ان يذني للأمم حتفها سريعا على يد أعدائها المتربصين بها الدوائر ، كل هذا وقع لدولة الموحدين فانقرضت سنة 674 هجرية وخلفهم الملوك الحفصيون، وورثوا بحريتهم تبعا لوراثة الدولة ، وحول هؤلاء توسيع نطاق التشكيلات البحرية فما أفلحوا كثيرا ، وإن فتحوا الجزائر ، والمغرب الأقصى ، وباعتهم الأندلس الشرقية في أواخر القرن السابع ، كما حاول بنو مرين ، والزيبانيون ذلك فأخفقوا هم أيضا .

سرى الوهن في جسم البحرية العربية شرقا وغربا بصفة مريعة ن وتناقل رجالها عن العمل لصالح الدولة ، واستقل كثير من رؤساء السفن بسفنهم ن وناوعوا الدولة وتعاونوا أحيانا مع

عدوها عليها ن وما كان جزاؤهم إلا أن أخذهم جميعا من تلابيبهم عدوهم المشترك : الإسبان  
وهكذا :

يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن  
تقلص ظل البحرية العربية بعدئذ شيئا فشيئا حتى بدأ الأعداء بأساطيلهم يغيرون على  
سواحل البلاد ، بعد أن بادوا الجنس العربي بالأندلس إبادة كما توخوها ، وبعدما ارتكبوا  
جرائم لا تصدر إلا عن حماة الصليب الرؤوف في كل زمان ومكان ، تقتيل وإحراق وتخريب  
، وتنصير ، وتكفير ، وهكذا حتى لم يبق عين ولا خد إلا كما قال القائل :

فلا عين إلا وهي عين من البكا ولا خد إلا للدموع بها خد  
أجل أباد الإسبان العرب بالأندلس ، فما شفيت لهم غلة ، ولا اكتفوا به ثارا ، وها قد لحقوا  
بلاجئهم إلى شمال إفريقيا قد عن لهم أن يفنؤهم ، وكل عربي مسلم ، أنى وجدوا انتصافا  
للدين ، وإرضاء لطغاة السلاطين ، ففي سنة 911 هجرية هاجمت إسبانيا المرسى الكبير  
فاستولت عليه ثم وهران نفسها 914 هجرية كما هاجمت غالب مدن الساحل منها عنابة ،  
ومنها تونس التي استولت عليها سنة 930 هجرية .

وقع ذلك فما قدرت البحرية على الدفاع ، وما قدر البحارة أن ينجوا من قضاء الله فلم يبق  
إلا أن تنثر الأمة على ولاتها وتحاول ما يمكن وما لا يمكن ، وأمامها طريقان : الاستسلام  
أو الاستجداد بتركيا العثمانية .

وكان الأخير هو الواقع ، فقدم عروج بربوس وأخوه خير الدين بأسطولهما من تركيا إلى  
شمال إفريقيا ، واشتبكا في حروب طاحنة مع إسبانيا في حوض البحر الأبيض الغربي برا  
بحرا ، وقد سدد لها ضربات قاسية كسرت كثيرا من شوكة تشكيلاتها العسكرية ، على أن  
عروج لم يلبث أن استشهد في سهول وهران منسحبا عن تلمسان التي احتلها الأسبان ن  
وحالفوا فيها أبا حمو ( المعنوه ) على أن يحارب معهم قوات الأتراك والأهالي المكافحين  
وكذلك فعل .

بقي خير الدين يجاهد في شمال أفريقيا والأندلس ، وسجل له التاريخ أنه أفقد آلاف العائلات  
الإسلامية اللاجئة إلى شمال إفريقيا من فناء محقق .



حارب الأتراك الأاسبان ، ولكن الأهالي العرب لم يكن يروقههم أيضا احتلال الأتراك للجزائر وبقية المغرب ، لأن الأتراك في نظرهم فاتحون محتلون ، وكل محتل . مهما كان عادلا . مجرم متكرر سوف يجور ويقسو ويفعل الأفاعيل .

وما من أحد يشك في أن الأتراك مسلمون يريدون الخير للمسلمين ولكن لدرجة أن لا تحدثهم نفوسهم بالسيادة ، فهل أن الداخل من أراضي الشمال كان يعنى به الأتراك ، وهل عنوا بالثقافة العربية والفن العربي في شتى مظاهرها ؟

لاشك أن الإهمال قد عم البوادي ، فسادت الفوضى ، وخيمت الجهالة ، وانتشرت الفتن ، حتى نسى العرب الأبوة مجدهم أو كادوا ، على أن الله أعاد إليهم بعض عزتهم بالأمير عبد القادر وكفاحه لأعدائه سبع عشرة سنة كاملة .

ولكن الضعف بلغ منتهاه ، ولا مناص من الهزيمة ، والآن وقد استسلم الأمير ، وفنيت

في عهد الأتراك الأساطيل العربية ن وصدق أمير الشعراء إذ قال :

لدهر ما رفعت شراعك

أي المالك أيها في

فحات ضيع من أضاعك

يا أبيض الآثار والوص

فإننا قد نهضنا من جديد وسلطنا سبيلنا إلى الحياة فلا بد أن نبلى غاييتنا طال الزمان أم قصر ، وكما تألق نجم الشرق العربي بدءا ، فسيتألق نجم المغرب العربي ختاماً .

\* \* \*

#### ملحق: 04

ذكرى سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . لسنة 1367 هجرية :

إن هذه الذكريات التي نقيمها لمخلدي التاريخ من عظماء الرجال وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلون لسننا نقيمها إشادة بذكرهم ورفعاً لقيمتهم وإقرار لهم بالسيادة وعلو المكانة بيننا فحسب ، ولكننا نقيمها تذكيراً لفسنا نحن الأحياء ، وتأسينا بهم لنأتي من الأعمال الصالحة ما أوتوا ونقدم من الأثر ما قدموا ، أو بعض ما أوتوا وما قدموا ليذرننا من بعدنا بما ذكرنا به من قبلنا .

ولقد قرر العقل الراجح والمنصفون من الناقلين في سير الرجال ومنازلهم في مختلف العصور وشتى نواحي العالم بأن أعظم شخصية عرفها العالم ورفعته إلى القمة طوال دهور إنما كانت شخصية سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . وإذ نقيم له الذكرى ، ونحن جنوده وأسرى نعمته . في صقع من أصقاع موطنه الأكبر ، شمال إفريقيا العربي المسلم فإنما قمنا ببعض الواجب إزاء من يفتديه الشمال الإفريقي بكل ثمين لديه .

أجل عرفنا وعرف الناس وما يزالون يعرفون آلاء محمد على الإنسانية جمعاء فأنصفه بعضهم وما يزال البعض ، وسيرغم على إنصافه مهما كابر وتحايل ذلك لأن الله جل شأنه مكنه وحده دون غيره من دستور سماوي عادل تسع أحكامه السماء والأرض معا ، ولا يمكن له الخلاص من أسر أوضاره إلا على يدي من لا تأسره المادة وتأسره الروح ، مقدسا لخالقها ، ناشرا لرحمته ، مظهرا لنعمائه ، مبشرا بإمكان إيجاد عالم تسوده عدالة شاملة ، وأخوة صادقة .

أما بالنسبة إلينا . نحن المسلمين . فوالذي أنعم علينا بمحمد . صلى الله عليه وسلم . ما عرفنا أجزل من نعمة الإسلام ، ولا أزهى من إنسانية بني الإسلام عرفناها نعمة بوأتنا عرش الشمس ، وهدتتنا إلى الحكم بأن كل نظام يمكن أن يسوده العدل كنظام الإسلام في صدق المعاملة وضمان حقوق الفرد والجماعة ، وصون الأموال والأعراض والأرواح لكل مهما اختلف في المعتقد والجنس واللسان .

ولد نبي الإسلام فخر العرب الأباة في بطن الجزيرة العربية حيث الرمضاء المحرقة اللافة وحيث لا كلاً ولا عشب ولا رغد في العيش ، ولكنه ولد تحت سماء صافية الأجواء مباركة الأنواء ، على قلتها وفي أحضان جنس فيه كل ما في أفضل الأجناس البشرية من خصائص ومميزات فهناك الشمم وأباية الضيم ، وزكاء الرومة والعرق وكرم الطبع وشدة البأس ، وطهر السريرة والضمير ، وهناك حدة الذهن وصفاء الوجدان ، وتأهب القرائح للنماء ، وما شئت من روائع الخلال ، وحميد السجايا ، وسجح الأخلاق وعلو الهمم وعز الشمائل ، ولكنها كانت أوزاعا منثورة طالما حنت إلى ناظم ينسقاها في عقد منسجم حاو لكل هاتيك الفرائد الغوالي بل طالما رنت إليه ناظما ماهرا يصوغ منها أفرق قلادة في عالم الأخلاق النبيلة يزين بها حسن السلوك إلى سعادة الإنسان . جاء محمد . صلى

الله عليه وسلم . فكان الضالة المنشودة والسعادة المفقودة منذ أزمان فاختط للعرب المسلمين النهج الواضح وهداهم السبيل البينة ببيان الصبح السافر ولقنهم مبادئ الحياة العليا ، ثم ما لبثوا أن تفجرت نفوسهم الزكية عن أنهار متدفقة صافية من الحكمة أروت كل صاد أنى وجدت مضاربه وخيامه ، وما لبثوا إلا يسيرا حتى ألموا بكل

مبادئ السياسة في الحكم بين الرعايا فرحموا الضعيف وأغاثوا الملهوف وانتشلوا المحروم .

وأنصفوا اليتيم ، وخلصوا العالم من مآثم بغاة أذاقوه ألوانا من الإرهاقات وسقوه كؤوسا

مريرة من ضروب الخيبة وآلام يشيب لها الولدان .

خلص العرب العالم من كل ذلك ، وما قدرت الحضارات الراقية والثقافات العالية عند غيرهم من الشعوب أن تتقذه قبلهم .

وكأنه راع العرب المسلمين ما كانوا يجدون من استعباد للرقاب واستغلال مشين للقوى والجهود ، فهاجموها . مساوى . وحطموها قيودا وحرروها أمما حتى لقد علموا السوقة أن يقولوها كلمة صارخة صريحة لكل باع : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا "

تألق نجم العرب في سماء السؤدد والرفعة وأشرقت شمس معارفهم فشعت أنوارها فأضاءت شعاب الفكر ، والهبت نيران الإحساس المرهف ، فاتضح النهج ، وفسح المجال ، ورايتها معارف منظمة صقلها العقل ، وغربلها ومححصها فانسابت شرابا طاهرا ، عذبا فراتا صائغا للشاربين ، وانهاه عليها الظمأى يغرفون منها ويروون حتى الثمالة .

كان القرآن الكريم اللبنة الأولى في أساس صرح معارف العرب فهو الذي حرر العقل من أسار تقليده ، وعصمه كثيرا من الخطأ في الحكم والخطل في الرأي وعرفه كيف يقارع الحجة بالحجة ، والبرهان بالبرهان ، وأبان لهذا الإنسان بوضوح عن مدى ما يستطيع أن يصل إليه فكره بوضوح عن مدى ما يستطيع أن يصل إليه فكره إذا تنظم .

جاء القرآن فتكون في العرب العقل الخلاق المنشئ ، وإذا شباب محمد يطاولون بعد قليل فلسفة اليونان ، وفن الرومان وحكمة الهند ، وعلوم الفرس ، وقدروا أن يزيفوا كثيرا من آرائهم في الحياة ولاسيما ما يتصل بنظمهم المادية الجشعة التي طغت على الروح فاستعبدتها وخنقتها ، وعلى القلب فأماتته وعلى الشعور فبلدته وعلى الإحساس فحجرتته حتى

لكان هذا الإنسان حيوان مفترس شرس يهوي الدماء وإبادة الجنس ، متوسلا إلى غايته بوسائل غاية في الحطة والخسة والدناءة .

عاش النبي في مكة زمنا ، وبالمدينة آخر وكأنهما ضاقتا ذرعا بكل هذه البرامج التي سطرت لتنفيذ، فتتكرتا لمحمد ورجاله غير مرة ، وبخاصة مكة فيكتب له النصر ويدال له على أعدائه فيفتح مكة ، ويجلي اليهود عن المدينة ثم يسلم الروح إلى بارئها ويلتحق بالرفيق الأعلى ، ويخلفه الخلفاء الراشدون في تنفيذ برامج الحربية والسلمية ، ويرسلون بقادتهم العسكريين في الشرق والغرب جميعا ثم رأيتهم . أي العرب . ينشؤون معاقل حضارة ضمت كل حضارة سلفت على ضفاف الرافدين ، وبردى ، والنيل ، وسواحل البحر الأبيض المتوسط غربا وشرقا وجنوبا وجزره أيضا .

كان كل ذلك ، وكأني الساعة أناجي أرواح ملوك بني أمية ، وبني العباس والفاطميين والأغالبة ، والموحدين ، والأيوبيين والأدارسة بل لكأني جالس في مجالس العلم أسمع عن إبن سينا ، وإبن رشد ، وأبي القاسم الزهراوي ، وأبي نصر الفارابي ، وموسى بن ميمون وحنين بن إسحاق ، ومحمد بن البيطار ، وعبد الرحمان بن خلدون ، وابن منظور الإفريقي ، وياقوت الحموي ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والأصمعي ، وأبي عبيدة

وأبي عثمان عمرو بن بحر ، والجاحظ ، وإبن دريد ، وأبي هلال العسكري ، وإبن جرير الطبري ، وجار الله الزمخشري ، وفخر الدين الرازي ، وأبي بكر بن العربي .

وكأني الآن أجيل الطرف في محاضر دروس الإمام مالك بن أنس ، وأبي حنيفة النعمان ، وإبن حنبل ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، والقاضي عياض ، وأبي حامد الغزالي ، وأبي إسحاق الشاطبي ، ورجال الحديث وعلى رأسهم البخاري ومسلم ، والوعظ والإرشاد وعلى رأسهم الحسن البصري والأوزاعي وبقية أعلام الإسلام الجهابذة ، كأني معهم جميعا أنعم ، ، ولكأني أجدني أمام روحانية متدفقة عن لآلى من الأنوار كهريتي وأحالتني شعلة منبثقة عن فجر وضاء من الأحاسيس الكامنة بين جوانحي وحنايا أضلعي وسويداء قلبي ، فهفت روحي وحننت نفسي لذكرهم ، ووجدتني مناسقا بلا شعور وإلى العمل الجاد لبعث حضارتهم لتسخر من حضارة القرن العشرين الكاذبة مناشدا خلفهم ، مستفزا عزائمهم والهمم ، يا خلف محمد ورجاله : أما أن لكم أن تبعثوا حضارتهم ، أما أن لكم أن تكونوا يدا واحدة على من سواكم ،

أما أن أن تحققوا : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يسلمه ولا يخذله " أما أن أن تذودوا جميعا عن حياضكم العزيزة مستبسلين تاركين حياض خوف الردى للشاء والنعم ؟ كما يقول أبو الطيب رحمه الله :

ردى حياض الردى يا نفس واتركي حياض خوف الردى للشاء والنعم  
فيا خلف محمد ورجاله أقيموا شريعة محمد حكموها فيكم لتقطعوا دابر الشقاق والتخاذل  
وتغلقوا دار البغاء والخمر والميسر بل لتعمر مساجدكم بشبان المسلمين ، وتكثر مدارسكم  
وتؤسس الكليات والجامعات ، وترسل البعثات ولئن فعلوا فحياكم الله وبارككم الملائكة  
الأطهار ، وباركتكم روح محمد وأرواح آله وصحبه " يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله  
ينصركم ويثبت أقدامكم " وسلام عليكم بقدر ما فيكم من خير للعروبة والإسلام.  
شاطودان . قسنطينة .

## ملحق:05

### صورة من مجتمعنا الحاضر:

تتجه نفوس مائة ملايين من أتباع سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . في هذه الأيام إلى استعادة ذكريات أربعة عشر قرنا من تاريخ خلت فيه الذكريات الحلوة ، وفيها المرة السود الحوالك .

تتجه وحاضر الأمم الإسلامية في حاجة شديدة إلى لون من ألوان الحياة الروحية التي كان يحيها المسلمون الأولون من رجال السلف الصالح لهذه الأمم ، وإلى لون من ألوان الحياة المادية التي مكنتهم من السؤدد والشرف ، والكرامة الإنسانية المثلى : يتجه المسلمون عامة والعرب خاصة إلى ذلك التاريخ الوضاء من أيامهم الزاهرة ، علمهم يستجدون نشاطهم ويجتثون من مجتمعاتهم الحاضرة عروق الضعف والوهن والفرقة والتشاكس .

يتجهون وهم أمام أحداث زلزلت الأرض زلزلة ، وهزت أركانها هذا عنيفا ما جعل الزمن الخؤون يغول كثيرا من الأمم الإسلامية الفتية أيامنا هذه ، أجل تنكر لها الصديق قبل العدو ، واحتقرها القريب والبعيد ، وطمع فيها الثعلب والضبع ، فأنت وتوجعت ، وشكت وتظلمت ، وما أحد يعتقد أن الأنين يجدي ، ولا الشكوى تنفع ، ومع ذلك ما يزال المسلمون يثقون

بالعدالة ، ويؤمنون بوجود العدل على وجه هذه الكرة التي تتضرع بدورها أن ينقذها الإنسان العالم والمتوحش في آن واحد ، أي ما أحد يشك اليوم في أن المسلمين والمستضعفين من غير المسلمين في سائر أنحاء الأرض تدعو حالهم إلى الشفقة والرأفة ولكنه لا رحيم ولا شفوق ولا رؤوف على وجه الأرض التي دانت بالعنصرية ، ودانت بالمذهب المادي الجامح ، وعنت وجوهها لعبادة الأصفر الرنان واتخذته إلها آخر لا إله إلا هو ، فلم يبق لنا . كضعفاء . إلا أن نتعض بالعبر ، وحدنا آيبين إلى الله الذي كفرت بأنعمه حضارة الغرب ، في العصر الحاضر ، متخذين للنهوض وسائل جديدة قوية فعالة ، تقتل أول ما تقتل فينا هذه الخنوثة في العزائم والتناقل في الأعمال ، وتغني بمعسول الأقوال ، وتبيد فينا أول ما تبيد هذه الأرسطوقراطية الكاذبة التي تجعل مجتمعاتنا طبقات ، وما هي إلا طبقة واحدة تترجح كلها تحت كابوس الظلم والمهانة والعار . نحارب الضعف باستحداث ألوان من القوة المادية والروحية وما تزال أصولهما محفوظة لدينا ، ونقاوم الظلم بالعويل واستعطاف الأقوياء من الغاصبين أن يرحمونا ، ويتصدقوا علينا بالحريرات والخيرات والبركات ، ولكن بالتكاتف والتعاون وقيام كل فرد بواجبه كفرد يراد منه أن يكون تاريخا ، ويعيد حضارة ويبعث مجدا .

يعيش المسلمون والعرب وقليل غيرهم من المستضعفين في سائر أصقاع الأرض عيشة ذل وهوان وعبودية ، واستخذاء في هذه الأيام وما منهم إلا متبرم بالحياة ، تأثر على نظمها وحسبوا أن ذلك كاف في تبديل الحال وتحقيق عقبي النوال ، وكأنهم نسوا أو تناسوا أن كل الذي قدموه من أسباب النجاح هو بعض الثورة الفكرية على الحياة الحاضرة ، ولو أنها لم تتناول جميع مناحيها .

إن أماننا عقبات كأداء جاءت نتيجة مساوئ آتيها راضين ، واقترفنا ذنوبها ضاحكين مستبشرين ولن نتمكن من سير لا إلتوء فيه ولا اعوجاج إلا إذا اقتلعناها اقتلاعا : هذه حانات خمور مبنوثة أحنث ظهورنا بالديون وأفقدتنا الصحة والثروة ، وكنا نظن أن الأجنبي وحده هو الذي اتخذها نريعة إلى تفكيرنا وسلب أموال مغفلينا ، فما راعنا إلا مسلمون وطنيون يفتحون دور الخمر في أحيائهم دون إحتشام ولا حياء ، وكان الأمل أن يكافحوا مؤسسيها بتأسيس جمعيات لمقاومة الكحول ، ومعاوضة الموجود منها، ولكنهم آثروا

المادة المغرية على مصلحة المجتمع العليا فعملوا الدين وجروا الجراب ، وكانوا أعوانا للأشرار ، وبئس الكسب ، وبئس المآل هذه دور البغاء العلني والسري تتكاثر في أوطان المسلمين يوما فيوما والبغايا يتهافتنا على تغذيتها من كل حذب وصوب يعرضن لبيع ماء المحيا، ملحقات لأبناء جنسهن عارا وشنارا وهؤلاء ينظرون الطوفان من بعيد ومن الأتكي على المرء في أيام محنته أن يرى الحكومات اللائكية في شتى النواحي تعمل جادة لاستأصال شأفة الرفيق الأبيض من الأرض قبل استفحال أدوائه ، وقبل إضناء جسم الأمة والدولة بأوساخه وأوضاره وأوبائه ثم لا ترى المسلمين الموحدين يتحركون ويغضون إذا إنتهكت حرمت الله ، وكأنهم لايشعرون أن هذه دور القمار يغشاها ممولونا الأشقياء يمنونها بسخاء وبغير حساب ، في وقت يشحون فيه على المشاريع الخيرية بدارهم معدودات .

وهذه دور اللهو تكفيها أنى ذهبت صاحبة حافلة بالهواة والماردين غاصة بجموعهم طوال النهار وزلفا من الليل في غير غاية وإلى غير نهاية .  
وهذه أعراس ومآدب ومنادب يصرف في سبيلها مقدار ضخم من ميزانيتها كثيرا ما سبب أزمة وأعقب هما وغما .

أضف إليها هذا الإتجاه السيء في نهوضنا ، فبدل تأسيس المعاهد العلمية والمصانع والمغازل والمناسج ، والشركات التعاضدية المختلفة في التجارة والفلاحة ، وبدل ضم الشتات ، وتوحيد الصفوف ، وإعطاء القيادة لمسيرين أكفاء ، بدل كل ذلك غدونا نكثر من تأسيس المقاهي والمطاهي والملاهي ، دلالة على عجزنا وإفلاسنا في تكوين أسرة راقية توفر أكثر من ذلك علينا جملة لو استطعنا وغدونا نمزق الشمل ، ونذهب مذاهب ، ونفترق شيعا ويلعن بعضنا بعضا ، والعدو متربص بنا الدوائر ، وكل منا راكب رأسه .

ثم أضف إليها أخيرا ما ذهبنا إليه نتخذه أساسا للعيش ، وحاميا من الفقر ،وجالبا للسعادة .  
غادرنا بوادينا ويمنا المدن إبتغاء العمل والعيش ، بعد أن انتزع منا معظم تراث الجدود انتزاعا ، وسلمنا البقية الباقية إلى المعمرين الأوروبيين اختيارا ، سلمناها لهم وبعناها بثمن بخس وكل ثمن تباع به تركة الجدود وتراثهم بخس فأثروا فيها ، وتآثل مجدهم وسادوا الأرض والسماء ، نزلنا المدن فخنفتنا غازاتها السامة ، وقيدتنا قيودها الثقيلة فارتضينا أحسن

الأعمال أعمالاً ، وأحسن المعايير معايشنا فحملنا أوزارنا على ظهورنا ألا ساء ما صنعنا ،  
ومن ثم جاءنا معظم الشرور وحق بنا العذاب ، ولحقنا هذا الذي نعاني من العاهات الخلقية  
والفساد في الأخلاق والجهالة المطبقة.

هذه صورة مريضة جعلت معظمنا يتساءل هل لها من آخر ؟ وجعلت مصلحينا وفنانينا  
يميلون إلى اليأس من برئنا ( ومنهم احمد رضا حوحو لطف الله به ) نعم كان يستولي على  
نفوسنا هذا النوع من الكآبة والحزن حتى غدونا ننظر إلى الحياة بمنظار أسود قاتم السواد ،  
فضل رؤوسنا وغمرت قلوبهم الحيرة ، فاستسلم لليأس منهم البعض وألقى السلاح ، وأخذ  
إلى الراحة وأتبع هواه ، وظل بالتبع مرؤوسونا ، فتجراً علينا خصومنا ، فكانت الواقعة وكان  
الغزو والاستيلاء ، وكان العار .

ولولا فضل من الله ورحمة لذهبنا في الذاهبين ولبدنا في البائدين ، أما وما يزال فينا ما إن  
تمسكنا به لن نضل بعد أبداً ، فلنرجع إليه . إذن . ولنمعن النظر في اتجاهنا الجديد ولنأت  
أول ما نأتي . بالإجتثاث والإبادة . على تلك العاهات التي أصابتنا ، وجعلتنا نتعثر في سيرنا  
لا نكاد نخطو خطوة إلى الأمام حتى نرجع خطوات إلى الوراء . يا قوم إن الدواء  
كل الدواء في رأي المصلحين الاجتماعيين هو أن نعد إلى أنفسنا فنفحصها فحصاً جدياً ،  
حتى نكشف أدواءنا بأنفسنا ، نأتي على معايشنا نحسنها ، ونقومها نأتي على أوضاعنا  
البالية وتقاليدنا الثقيلة نستبدلها بما يوائم الحياة الحاضرة في صرامتها وقوتها وجمالها ولا  
تتنكر لدينا وصالح تقاليدنا وعاداتنا ، وذلك باستحداث ثورة داخلية تجعل . بالتربية والتعليم  
وحسن التوجيه . الرجل فينا يساوي الرجل عند غيرنا قوة واقتداراً ، وجرأة واصطباراً ، ومعرفة  
ويقينا ، وتجعل المرأة تساوي غيرها من نساء الأمم الحية باعتبارها أما رؤوما تعد أبناء زهر  
ربي في السلم ، أباة ضيم ، وحماة وطن في الحرب ورجال حقيقة وبيان وفصاحة فيهما معا  
، وتجعل الطفل يساوي غيره من الأطفال صحة ودواء وتربية وأعدادا وتربية وتعلما وتهذيبا .

لم لا نأتي على تركات جدودنا . على ضعفها . ورغم المقاوم نولد منها أصول حضارة  
مطبوعة بطابعنا الخاص كعرب وكمسلمين وكشركيين دان لسلطاننا الكون دهورا ودهورا ؟  
أين منا تلك القومية المثالية التي تهيب بنا لإنقاذ بني جنسنا من وهدة السقوط ، وظلام



الجهالة ، ومغبة فساد الخلاق ؟ وأين منا تلك الروحانية العليا التي جاءنا بها أنبياؤنا وكتبنا ، لنسبل على أرواحنا وقلوبنا من لألها ما يملأ ذلك الفراغ السحيق ، وينير أمامنا صفحة المستقبل ، ويبعثنا على تحقيق الأمل وأين منا القيادة الرشيدة لتجنبنا الطرق الملتوية المحفوفة بالأغلاط والمؤامرات ؟ .

وأين منا العلماء المربون يعطوننا دروسا تجعل حياتنا الفكرية الجديدة إيجابية ترد ليلنا البهيم نهارا ، وتضفي على مستقبلنا أضواء وأنوارا أين منا كل ذلك ؟ .

لن يتحقق شيء من ذلك . يا قوم . إلا بفتح أبواب المدارس على اختلاف درجاتها واختلاف أنواعها في وجه البنين والبنات على السواء ، وحتى للرجال والنساء ولن يتحقق إلا إذا حطنا ما نعاني من القيود الاجتماعية المعرقة للسير ولن يتحقق إلا بتوحيد الجهود، وإخراج الأموال ناشطة لمطلب فيه إصلاح وعمران كما قال شوقي :

الملك أن تخرج الأموال ناشطة                      لمطلب فيه إصلاح وعمران

فلننصف أنفسنا من أنفسنا ، ولنتيقن بأن الاتكال على الدولة . مسلمة كانت أو غير مسلمة -  
معة لاتمحي وصمتها .

وإنما نتكل على أنفسنا أفرادا وجماعات نبذل المجهود كاملا ، بإخلاص فإذا فعلنا أمكن أن ننسى إلى الأبد مانعاني من ويلات وآلام وما نقاسي من نصب وعناء ، وذهب الظلام وانبتق الفجر وحلت الأنوار ، ونزلت الرحمة وسعد العاملون ، وصدقنا الله وعده ، فلنعمل بجد فإنه ما كان يفلح في جدال حياته شعب على كسل له استمرار .

## الجزائر

### ملحق: 06

#### مرشد المعلمين :

وضع أستاذنا الجليل "محمد البشير الإبراهيمي" رئيس جمعية العلماء منذ سنوات برنامجا حافلا للتعليم العربي بجميع أنواعه، وضمنه أصولا عظيمة من علم التربية ، وقد سألناه منذ عامين أن يجرّد لنا منه فصولا عملية تتعلق بالسنوات الست الابتدائية ، ففعل . حفظه الله . وسلمه لنا لنطبعه وننتفع به ، وطالعناه فلم نجده كالبرامج المعتادة وإنما هو "معلم مكتوب" فهو يأخذ بيد المعلم ويسير به خطوة خطوة إلى الغاية لا يضل عنها ولايجور ، وكأنما هو "

ملقن " من وراء المعلم يملي عليه الكلام ، ويرشده إلى كيفية العمل ، لذلك أثر جماعة من  
قدمات المعلمين تسميته " مرشد المعلمين " .

عاقنا عن طبعه عدم استعداد مطابعا لطبع مثله ، فعزمتنا على أن نطبعه أمثلة خطية  
( كليشيات ) وها نحن أولاء نتعجل بنشر المقدمة التي صدره بها أستاذنا الجليل ليقرأها  
إخواننا المعلمون ويستفيدوا مما فيها من إرشادات.

\* \* \*

## ملحق: 07

### زيارة الأستاذ محمد الغسيري إلى تونس :

لقد تشرفت تونس في غضون الأسبوع الفارط بنابعة من أفاض رجال الحركة العلمية بالقطر  
الشقيق الجزائري وأديب ظريف ومفكر اجتماعي وداعية للعلم ومناهضة للجهل ، ألا وهو  
الأستاذ محمد المنصوري الغسيري مفتش التعليم الحر العربي لمدارس جمعية العلماء  
المسلمين بالجزائر وقد عرفنا فيه الظرف والآداب والأخلاق الإسلامية ، وسعة الإطلاع على  
الحركة العلمية بالقطر الشقيق ، وبعد أن أتصل بالطلبة الجزائريين وتعرف على أحوالهم  
اتجه إلى فضيلة شيخ الجامعة الزيتونة الإمام الطاهر بن عاشور الذي أعلن لجناية رضاه  
عما تقوم به جمعية العلماء ، وإن له الثقة التامة في نبوغ الشيخ البشير الإبراهيمي كما زار  
العلامة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الذي أعلن له أنه لا يزال محافظا على العهد الذي  
قطعه على نفسه من العمل لفائدة قطر الشقيق الجزائري ، وهو متضامن مع إخوانه رجال  
الحركة العلمية الجزائرية وهولا يزال يعمل جهده في توجيه الشباب الجزائري الذي له عاطفة  
وأمال كبار في نجاحه وبلوغه آماله ، وكما يتمنى للقطرين الشقيقين تونس والجزائر خيرا ،  
يتمنى أن يكون ضيف تونس رسولا في إبلاغ عواطفه وتقديره لإخوانه أهل العلم والرأي  
الصالح الذي يرجع بالفائدة على المجتمع الجزائري بكل خير وصلاح .

ولم يتخلف ضيف تونس عن زيارة رجال الصحافة التونسية الذي كان محل التقدير والاعتبار  
، وقد جرت بينه وبينهم أحاديث طريفة تعرف خلالها قيمة الحركة الجزائرية واتجاهاتها  
وتفاني القائمين عليها بالسهر والتضحية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ونحن بدورنا

تعرفنا في هذا الرمز العلمي آداب الجزائر وأخلاق قاداتها ، وكان لنا بهم جميعا مزيد إعجاب لأن أرواحنا قد اتصلت قبل حلول هذا الأخ المجاهد الكريم في ميزان العلم والعمل الجدي الذي هو غايتنا ومبدؤنا ومنتهى أملنا في الحياة.

بقلم : علي الجندي

\* \* \*

## ملحق: 08

### الذكرى التاسعة للإمام الأستاذ عبد الحميد بن باديس:

الوفاء قليل في البشر ، وأوفى الأوفياء من يفي للأموات لأن النسيان غالبا ما يباعد بين الأحياء وبينهم فيغمطون حقوقهم ويجحدون فضائلهم وما رأينا في حياتنا رفيقين جمع بينهما العلم والعمل في الحياة وجمع بينهما الوفاء حين استأثرت الموت بأحدهم ، مثلما رأينا إمامي النهضة الجزائرية ، عبد الحميد بن باديس ، ومحمد البشير الإبراهيمي رحم الله الميت ، ومد في عمر الحي حتى يحقق للجزائر أمنيتها .

من أعلى ما امتاز به أستاذنا الجليل ، ورئيسنا الأكبر محمد البشير الإبراهيمي من شرف الخلال " نكران الذات " فهو لايزال يعمل الأعمال التي تعجز عنها الجماعات ، وتتوء بها العصب ، وهو مع ذلك لا ينسب الفضل إلا لإخوانه ورفاقته الأموات والأحياء.

يصرح بذلك في خطبه الدينية ، ومحاضراته الجامعة ، ويقول : إن كل فضل في هذه الحركة العلمية النامية يرجع إلى جمعية العلماء ، وإنه لولا جمعية العلماء ما كان هو ونحن أبناءه نشهد ، وإخوانه يشهدون أنه لولا علمه ولسانه وصبره وتأثيره الذي يشبه السحر ، لما

كانت جمعية العلماء ، ولولا براعته في التصريف والتسيير لما سار بجمعية العلماء شرع في هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن .

مات ابن باديس في حين كان رفيقه في الجهاد وقسيمه في العلم والعمل محمد البشير الإبراهيمي منفيا في قرية آفلو من الجنوب الوهراني ، بحيث لم يحضر دفنه ولم يؤبنه بكلمة ، فعوض ذلك برسائل تعزية كتبها إلى إخوانه بث فيها حزنه للمصيبة ، وصور فيها آثارها ، ولم تنسه الفجيرة ما يجب من النصائح بالثبات واستمرار السير ، فجاءت رسائل من ذلك الطراز الساحر الذي لا يحسنه إلا الإبراهيمي ولا أدري إن احتفظ الإخوان بتلك الرسائل الفنية أم ضيعوها ؟ .

ولما كملت لموت الأستاذ سنة ، ورفيقه لا يزال في المنفى أرسل الرئيس الجليل من منفاه هذه المقامة إلى مقيمي الذكرى الأولى لابن باديس وتلاها في حفل مختصر كانت هذه الكلمة ، فأبكت العيون وجددت الأسي .

رغبنا إلى أستاذنا أن ننشر هذه المقامة في ذكرى هذه السنة إذا كان عاجزا عن كتابة كلمة خاصة بها لمرضه ، واشتغاله ، فأذن . أبقاه الله . بعد امتناع لأن أستاذنا . حفظه الله . لا يرى السجع معبرا عن النوازع العميقة وإن كان هو إمام العصر بلا منازع في هذه الطريقة الأندلسية البديعة التي لا يحسنها إلا من جمع بين الطبع والصنعة ، وملك أزمة اللغة والغريب وصلت في الأخير رغبتنا منه إلى القبول حرصا على هذه المقامة أن تضيع إن لم تسجل ، وكم من نفائس مثل هذه المقامة ، وكم من رسائل ، وكم من تحف فنية من أدب الهزل والنكتة ، وكم من ملاحم شعرية ، بلغت الآلاف من الأبيات ما زالت مطمورة في أوراق الأستاذ على استخراجها ونشرها ضاعت وخسر الأدب والعلم خسارة لا تعوض ، وهاهي ذي المقامة البادسية ، وننبه على أن الأستاذ حذف منها كثير مما لا تسمح الظروف بنشره .

\* \* \*

**ملحق: 09**

## في تونس الخضراء:

زرت في الأيام الأخيرة مدينة تونس كما زرت بعض مدنها الوسطى والساحلية ورأيت فيها من مظاهر الحياة ، ماجعني أومن بأحقية رغائب أمة لا بد وأن تحققها الأيام لها عاجلا إذا هي والت الكفاح وجدت في البناء والترميم ، وتناسى رجالها رغائبهم الشخصية وذابوا في الشعبية العامة ، وغنى رجال الحواضر بإخوانهم البوادي .

إن أول ما يلفت نظر السائح في القطر التونسي الشقيق هذا الطابع العربي الذي انطبعت به كل مظاهر الحياة والتمدن ، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى مجد تونس الحقيقي جامع الزيتونة . عمره الله . فهو الذي حفظ لهذه الأمة كيانها وتراثها الإسلامي الماجد ، وقرب آفاقها من مدنها ، وجعل الاتجاه فيها . وإن اختلف ضعفا وقوة . واحدا ولعل الفضل أيضا يرجع إلى الذاتية التونسية الكريمة التي حمت جامع الزيتونة من عوادي الزمن وأحداثه ، ثم لعل الفضل يرجع في عمارة الجامع وتأسيس فروع له في غالب مدن القطر إلى وجود الأوقاف الإسلامية ، بيد وزارة الأوقاف التونسية ، ووجود مجلس أعلى للجامع يتمثل في شيوخ العلم والوزارة . وإن تكن صورية . ذلكم المجلس الذي مهما اختلفت فهمه لقضية رسالة الجامع الإسلامية ، فإنه متفق على الغاية ، وعامل للوصول إليها من اقرب السبل وأيسر الوسائل .

زرت تونس في هذه الأيام الأخيرة مندوبا من طرف فضيلة العلامة الشيخ العربي بن أبي القاسم التبسي خريج الجامعتين الإسلاميتين الزيتونة والأزهر ، ومدير معهد عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة والرئيس الثاني لجمعية العلماء .

زرتها لتفقد أحوال إخواني الطلبة الجزائريين أبناء جمعية العلماء البررة ، وجنود حركتها المنتظرين وما كدت أنزل الخضراء حتى اختطفنتني من يدي أعمالى أريحية الأساتذ محمد الشاذلي النيفر رعاه الله ، وأبت إلا أن تضمنني إلى رحلة كتيبة من كتائب الإسلام كان أفرادها الجزائريين التونسيون السودانيون قد أعدوها قبيل نزولي بتونس لترحل إلى المدن الآتية : القيروان ، المهديّة المنستير ، وسوسة وغيرها من القرى القريبة منها ، فكان ما أرادوا ورحلنا رحلة زيتونية دراسية ، وكان المدرس المحقق هو الأستاذ النيفر ، وكان أعوانه هؤلاء الأبوة الكماة محمد شرشور ، أحمد القيروي الحبيب نويرة ، الهادي إبراهيم البشير الزرابي ،

علي بن إبراهيم السوداني الأساتذة والطلبة بالجامع الأعظم ، ولقد استقبلنا الشعب التونسي وولاته المدنيون ، وشيوخ فروع الجامع والقضاة أنى حللنا .

وإنك لترى مدن تونس العربية الإسلامية وقد سبح بك الخيال إلى أيامها في عهد الفتح الإسلامي الأول ، وكانت ترى جيوش عقبة بن نافع الفهري تدخل القيروان سنة 50 للهجرة ، فينشئ بها عقبة مدينة ، ويؤسس بها مسجدا ، وينشر فيها وفيما حولها راية الحرية ورسالة سيد الكائنات محمد بن عبد الله . صلى الله عليه وسلم . ثم يمر بك الخيال إلى عهد الأغالبة فتذكر إبراهيم بن الأغلب وأيامه ، وزيادة الله الأغلب وعصره ، وتمر بين سنة 184 للهجرة وسنة 289 للهجرة فتتمثل أمامك حضارة ينيبك عنها تجديد مسجد عقبة الجامع وصهرج الأغالبة المائل إلى اليوم ، وبيت الحكمة ، والقاضي القائد أسد بن الفرات والإمام سحنون وأحمد بن الجزار ، وتذكر فتوح صقيلية سنة 212 للهجرة وجنوب إيطاليا سنة 289 ثم تذكر عهد

عبيد الله المهدي الفاطمي ، وخلفه من الولاة فتتخيل أيامهم في القيروان ، وأيامهم في المهديّة ، وأيامهم في القاهرة وتأسيسهم بواسطة مولاهم جوهر الصقلي لمدينة ما تزال تفخر بأنها قاهرة المعز لدين الله ، وتأسيسهم للجامع الأزهر كعبة العالم الإسلامي وقبلته العلمية ، وفتحهم لجزائر كريت ، وسردانيا وكورسيكا ، ثم تذكر عهدا أخرى منها الحفصي ، والهاللي والموحدي ، فتذكر صورا مختلفة بناء تارة وهدما أخرى ، فتخرج من جميع تلك السياحة التاريخية بأن هذه الأمة العربية الإسلامية التي تعيش على ضفة البحر الأبيض المتوسط الجنوبية خالدة ، وإن مسها الضر ، وناهضة وإن تتكر لها الحدثن .

ترى مدن تونس بعد هذه الأيام الزاهرة ، وتتذكر هذه السواحل وشأنها في عظمة مدينة البحر الأبيض المتوسط ، ثم تلقى تونس قد فقدت كثيرا من مفاخرها وإن لم تفقد مقوماتها كأمة

خالدة كان شوقي يعنيها:

أمة للخلد ماتبنى إذا مابنى الناس جميعا للعفاء

ثم تلقي نظرة على حاضرها فإذا كلية الزيتونة بفروعها العامرة هنا وهناك والمدارس القرآنية المنتشرة في سائر أنحاء القطر التونسي والمدارس الدولية المبتوثة في جميع نواحيه والمزارع

المنظمة والمصانع والمناسج والمتاجر الكبرى ينييك جميعها على أن تونس الحاضرة ، ستقود إليها أيامها الغابرة ، وكيف لا تعجب من هؤلاء الشيوخ الأعلام يعلمون ويربون وهؤلاء الساسة المحنكين يقودون الجماهير بحكمة وروية وثبات ، وهؤلاء الشبان الشم الأشاوس يكدحون في سبيل إيجاد شعب يجب أن يضاهي أرقى الشعوب ، وهؤلاء النساء العقائل الفضليات يعضدن النهضة بحسن تربية الجيل وإعدادة إعداد بيوؤه السماك الرامح بين الأجيال ، هذه هي تونس التي آوت آلافا من طلاب العلم الغرياء ، وأكرمت مثنوهم ، وجندت شبابها لتتقيفهم ، هذه تونس العربية المسلمة تتمثل في شيوخها الأعلام وفي مقدمتهم شيخ الجامع الأعظم وفروعه ورجال الأحزاب القومية ، ورجال القضاء والصحافة الأوفياء المخلصين ، ورجال الاقتصاد الوطني المجاهدين ، هذه تونس المتمثلة أخيرا في شعبها الناهض المقاوم ، فإلى هؤلاء جميعا أقدم تحيات مباركات تملئها الأخوة الإسلامية واللحمة اللغوية والوطنية ويؤكدها الاعتراف بالجميل

## ملحق: 10

### **الشيخ عبد الحميد بن باديس والكفاح الإجتماعي:**

الحياة كفاح ، وكفاح الرجال من أجل الحياة هو عين الحياة المثلى ، والأمم الإسلامية منذ تركت الكفاح من أجل الحياة ، بل منذ أخذ علماءها على الدعة والخمول ، ورضوا من الغنيمة برضى ملوكهم عنهم ، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة ، منذ ذلك العهد حلت بالمسلمين القارعة وأصابهم ما أصاب الأمم من العذاب الأليم ، فتهدمت صروح مدنيتهم الزاهرة في الشرق والغرب ، وتشتت جموعهم ، وانحلت أخلاق أسرهم ، فكانوا لقمة سائغة للغرب حين جد جده ، وسطا سطوته وضرب ضربته القاضية أصاب الشرق في صميم كيانه الاقتصادي ومقوماته الحيوية الأولى .

فاستسلم حيننا وقاوم أحيانا ، ولكن في غير جدوى ، ذلك لأن السوس نخر عظامه وأذهب وراءه ، وأصبح فريسة باردة لغيره ، فافترسه في غير ما شفقة ولا رحمة ، وظل كذلك حتى أسفر العالم الجديد عن نظريات تجديدية أيقظت مضاجع الشرق ، وجيشت عواطف بنيه الوطنية بين حنايا أضلعهم ففافضت ألوانا وأمواجا ثم استأحالت على مر الزمن إلى عقيدة

مقدسة ، قوامها الكفاح والتضحية والكد والجد ، والثبات وراء العقيدة ، والدأب في السير إلى  
الأمم في سبل ملتوية شاقة محفوفة بالمكاره والأخطار .

كانت هذه النظريات التجديدية بلسما شافيا للمسلمين من أدوائهم وعللهم التي كادت تكون  
مزمنة لولا رحمة من الله ، إذ قيض لهم من أنفسهم علماء مجددين جددوا لهم شؤونهم الدينية  
والدنيوية أجل أبانت تلكم النظريات التجديدية للملأ الأكبر من المسلمين وغير المسلمين بأن  
ما عليه المسلمون اليوم من الانحطاط والتأخر لا يمت إلى الإسلام بصلة ولا يعرفه  
المسلمون المثاليون في أيامهم الزاهرة وإنما يرجع سببه الرئيسي إلى فهم خاطئة للأشياء  
اعتنقها المسلمون زما بعيدا ، وذلك ما أضاع عليهم الدين والدنيا معا .

إن جهلهم بتعاليم الدين وروحانيته العليا هو البلاء الأكبر على حياة المسلمين الدينية وما  
سقطوا دنيويا وروحانيا إلا منذ أرادوه دينا خرافيا يمجذ الزهاد والمعاجيز والكسالى ، وحتى  
إن لم يلتمسوا الرزق في خبايا الأرض ، ويروحوا في طلبه كما تروح الطير تغدوا خصا  
وتروح بطانا .

نام الشرق كثيرا جراء هذه الفهوم الخاطئة ونامت الجزائر ضمن أقطاره نوما هائلا مريعا ،  
وجهلت جهلا فادحا مبيدا ، وخسرت دينها ودنياها ، وأضاعت سيادتها وكرامتها ، فذلت  
وتألمت وسخر منها القاصي والداني واحتقرها المتفوق السائد في هذه البلاد وضحك من  
جهلها أقل الأمم شانا ، ولقيت من العذاب ضروبا شتى ثم ما راع العالم إلا نبتة تنبت في  
خير منبت ، وزهرة تتفتح على خير فنن ، في أزهى شجرة تأبى أن تصوح ، صامدة للرياح  
الهوج ، تتعطف يمنا ويسرة ، تتخفى وراء فينان غصون أمها الرؤوم ، تنتسم قطرات الغمام  
سحرا لتسيل منها على جوانحها من لألائها كل معاني الجمال والخير والصلابة والسناء  
متعرضة لنفحات الله كي تكأها وتحفظها من عوادي الزمن ، وتقيها من الغير حتى ينبثق  
الفجر ، ويحمد الناس عقبى المأل .

كانت هذه النبتة ، وتلكم الزهرة وليدا نجيبا شب وترعرع في رحاب العز ، وأشرب لبان أروع  
ثقافات العالم واحتمى خلقيا بتعاليم دستور سماوي لن ينقذ العالم الحاضر من مساوئه إلا هو  
، فألهمه كل ذلك وأوحى إلى نفسه الكبيرة بأن ما عليه المسلمون من السقوط والهزال يمكن  
مداواته فشرع يناضل ويكافح ، ناضل عن الإسلام وتعاليمه ولغته ومدنيته ، وكافح



خصومه والعاقين من بنيه ، كافح . شابا . طرق التعليم العتيقة فأثار السبيل لمن بعده .

وكافح المؤلفات الضخمة يغربلها ليستخرج منها لب العلم فأفلق أيما الفلاح ، وكافح الأفكار الخرفة الخاملة فهزأ هذا رد كثيرها على وجوه ذويها ، فأصبحت ليست من الدين بعد أن ظلت أمدا طويلا تحسب من الدين وهو منها براء ، وكافح التقاليد البالية في الأسرة الإسلامية فأبان للناس أثرها السيء في المجتمع بعد سيادة دامت أحقابا وأحقابا ، وكافح مشعوذي الساسة ، وساسة الاستعمار كفاحا مرا لاهوادة فيه ولا ابتعد لنيران إيلامه أوار ، حتى أوشك على الظفر المؤزر لاسيما في أواخر أيامه .

جال في كل ذلك جولة ، وصال صولة ، وراع دولة وقوض سلطانا ساد طالما جروا البلبايا وساقوا الجموع إلى حيث الدنيا ، وحيث حاق بهم مختلف الرزايا ، دونها ألما . أحيانا . مصافحة المنايا ، حالف الراحل العظيم أحلافا وكون لحماية آثاره وأفكاره أحلافا ، فنشأ نشؤه كفورا بالظلم ، ناقما على الظلمة أبيا لا يبيت على ضيم ، رحبما بالضعفاء ، شفوفا على الإنسان ، غضوبا عند امتهان كرامته ، وكان خلفاؤه من بعده ، خلفاء صدق وحماة حقيقة وحق في كل المواقف ، وكانت مؤسساتهم كريمة نبيلة لم ترض الهوان ولا خضعت ، أمثل لجور سلطان ، هدمت وبننت ، وقومت وعدلت وأقامت وأعدت وخطت للسير الخطط وأقومها ، ووضعت للعاملين برامج جريئة وأعدت لكل كفاح عدته وشكلت له تشكيلة من الوسائل والحماة والأنصار ، فنظمت الوسائل ووضحت لكل من الحماة والأنصار ما له وما عليه من الحقوق والواجبات وبصرت كلا عاقبة أمره والآن وبعد كفاح مرير تبين للقريب والغريب أن للجزائر شخصيتها وقوميتها ، وأنها مسلمة وعربية ، وتبين للسياسة والساسة في هذه البلاد بأن وضعية الجزائر الشاذة في الحكم والمعاملة ليست من أصول العدل في شيء ولا ترتكز على أصل من أصول الديمقراطية ، أنها غبن لا نظير له في العالم الديموقراطي الحر ، وأن على ساسة البلاد أن يفكروا تفكيرا جديا جديدا ، ويراجعوا أحكامهم ونظمهم ، فانتهاز الفرصة أحرار الديموقراطيين وانضموا لصفوف المكافحين المسلمين ، فكان للجزائر قضية وكان لها مشكل عويص الحل ، وشرع هذا وذاك ، وذلك يعرضون الحلول تلو الحلول

وما ووصل بعد فريق إلى حل نهائي وإن كابت السياسة .

أجل آمن الناس أجمعون . بعد ذلك . بأن باعث هذه الحركات كلها هو الراحل العظيم عبد الحميد بن باديس . طيب الله ثراه . ، وأن حامي هذه الحركات كلها هو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وعلى رأسها الخلفاء والأمناء الأبرار : محمد البشير الإبراهيمي ، ومحمد العربي التبسي ، ومحمد خير الدين ، وأن هذه الجمعية تتمثل في مؤسساتها ومعاهدها وصحافتها ومعلميها وتلاميذها وأنصارها ذكورهم وإناثهم ، وآمن الجميع بأن جمعية العلماء قد حققت كثيرا من أغراض الراحل بعد وفاته ، ومن خلف ما خلف عبد الحميد من الآثار، وخلف من خلف من الرجال الأطهار فليحفظن الله آثاره ، ويحققن الله أمانيه في الدنيا والآخرة، فانعم بالا شيخنا الفقيد ونم قرير العين واطمئن على مشاريعك وطب مؤثلا في فراديس جنان الخلود وسلام عليك وعلى أشياعك أحياء وأمواتا ويوم تبعثون ورحمة الله وبركاته.

\* \* \*

## ملحق: 11

### ذكرى بدر بمركز جمعية العلماء المسلمين:

ذكرني ما كتبه واقتبسه الأستاذ "أبو بكر الأغواطي" من درس الأستاذ الرئيس الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، الذي ألقاه بمدينة الأغواط يوم زارها في الأيام الأخيرة إنه واجب علي وقد كتب لي أن أحضر بعض دروسه الرمضانية بالجزائر ، ومنها الدرس النفيس الذي ألقاه بالمركز يوم 17 رمضان بمناسبة ذكرى بدر لسنة 1368 أن أقتبس بعضه لأقدمه إلى قراء " البصائر" ليتصوروا جلال هذه الدروس وما قدرت أن أنقل إليهم من معانيه إلا يسيرا، فليعدروني إذا لم أقدم لهم غذاء لذيذا كما يشتهون ، و يشتهي الفن ، فحسبي لديهم أن قدمت الغذاء ، و حسبي لدى نفسي أن أرضيتها فيما طالما احترقت عليه أسفا و حنت إليه شوقا ، ألا و هو ضياع تلك الدروس القيمة و المحاضرات العامرة التي يلقيها الرئيس في جولاته بربوع القطر الجزائري ، تلك التي لا تتقطع طول السنة ، وما أشبهها إلا بنهر عذب

جار يستسقى منه القريب ولا يحرم منه البعيد ، أجل طالما تذامرنا وتقاسمنا . نحن معشر تلامذة الأستاذ و رفقائه . على أن كل من قسم له حضور تلك الدروس . ليكتبن كل ما أسعدته ذاكرته بحفظه و قلمه بتسطيره ، ولكننا نخلف مرة ، ولا يسعدنا الحظ لمرافقة الأستاذ في أسفاره مرات ، على أن حاضري الدرس من الكتاب يؤخذون بالسماع ، ويندهشون فلا يكتبون شيئاً ، وكانت النتيجة ضياع كنوز من العلم و الحياة لا تقوم بمال .

أجل لم ينقطع الأستاذ الرئيس عن الجولان لخدمة الأمة و الجمعيات و المدارس و المعهد إلا بضعة أشهر في السنة الفارطة لمرض أقعده ولعدم وجود سيارة نقله ، فتعطل كثير من الأعمال واشتأقت المحافل إلى سماع صيحاته و نصائحه و بيانه الساحر ، وحل المشكلات واستمرت الحالة كذلك زمنا قصر فيه أعماله و زيارته كلها على المعهد وحده ولما تهيأت له الوسائل جاب البلاد في أمد وجيز تناول فيه بالزيارة مايلي : قسنطينة ، سمنو ، عزابة ، مزغيش ، عين قشرة ، الميلية ، الشقفة ، أولاد علال ، جيجل ، القرارم ، شاطون ، العلمة(سانت آرنو) سطيف ، حضنة أولاد دراج ، برج بوعريريج وهناك جاء العمل الحازم ، ورجع عزم الأستاذ إلى الصول ونشط لسانه إلى القول ، واستهل سلسلة أحاديثه ودروسه بخطبة في الإحتفال بختم دروس معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ، وبحديث في مؤتمر شعب جمعية العلماء بعمالة قسنطينة ، كما تكلم في غالب البلدان السالفة الذكر ، ثم سافر إلى الجزائر ، وما مكث عند أهله . حسبما أخبرنا . إلا ثلاث ساعات ، سافر بعدها إلى المدية وألقى فيها درسا بالجامع الجديد منها إلى الأغواط (وقد نقل بعض أحاديثه فيها الأخ أبو بكر ونشره في البصائر في حينه ) ثم عاد إلى المدية فتقبل فيها دارا عظيمة وهبها لجمعية العلماء محسنان كبيران لتكون مدرسة للتعليم ، وبعد صلاة الجمعة في الجامع الجديد ألقى محاضرة أعلن فيها تبرع المحسنين بالدار وأعلن حكمه عليها أن تكون مدرسة خاصة بالبنات مؤلفة من ثمانية أقسام وألزم رجال المدية باسم العلم أن ينهضوا لبناء مدرسة للبنين ، وأنحى عليهم باللائمة في التقصير والتأخر في مضمار التأسيس حتى على القرى الصغيرة مع أنهم من السابقين في النهضات على إختلاف أنواعها ثم قصد الأصنام بدعوة من جماعة مدرستها مدرسة "بن خلدون "

ليتكلم في احتفال أعدته المدرسة ولم يرجع إلى الجزائر إلا في أول رمضان .

إن نسينا شيئاً من عيوبنا فلا ننسى أن أكبرها هو إضاعة مثل هذه الدروس والمحاضرات ، وأن فيها . والله . لكنوزاً من العلم والحكمة غالية وإن أسينا فأول ما نأسى عليه أن يرافق الأستاذ العظيم في كل جولاته إثنان أو ثلاثة من الكتاب ليدونوا كل ما تنفرج عنه شفتاه ، وكل ما يلفظه لسانه العذب الحكيم من الدرر ، أما أنا فحسبي . أخيراً . أن أقدم إلى القراء مايلي :

والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه أما بعد: فإن الأمم تعرف في هذه الحياة بأيامها والأيام أفرح وأتراح الفرد فيها كالجماعة ، وإن أعمار الأمم منها ما كان كله كالصفحات البيضاء نقاء وإشراقاً ، ومنها ما كان مظلماً حالك السواد ، وإذا درسنا بدايات الأمم ونهاياتها . وهي ضارية في القدم والطول . وجدناها كبدايات ونهايات الأفراد سواء بسواء ، وإذا ما أمعن النظر في أيام الجميع السارة لم نلفها إلا قليلة جداً ، وكذلك كانت أيام المسلمين الزاهية السعيدة تكاد تعد على الأصابع وما كان يوم بدر إلا من هذه الأيام القليلة ، وما كانت واقعة بدر إلا من هذه الوقائع المشرفة في تاريخ الإسلام والمسلمين الطويل ، فلقد حيرت المؤرخين ومألت الأسفار بأسماء أبطالها القليلين وذكر مآثرهم ، وتعداد مناقبهم ، وذكر عددهم الحربية المتواضعة والإشادة بالمكان ، وكل ميزته أنه به قليل ماء . ما كان بدر إلا يوماً من أيام الله في الإسلام . إذن . وهل يحسن التذكير إلا بأيام الله ؟ وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام : " وذكرهم بأيام الله " ذكر موسى بني إسرائيل بأيام الله ، وذكرهم بآلائه عليهم ، ولما لم ينفعمهم التذكير وخالفوا وأمر الله وكثيراً ما قتلوا أنبياءهم بغير حق ، حقت عليهم كلمة الله ، وحق بهم العذاب وهم لا يشعرون ، فكان التيه الذي ظلوا فيه معذبين أربعين سنة ، كانت كافية أن تنهض جيلاً من الشبان عزيزاً شديد المراس ، يأبى الضيم ولا يرضى المهانة ، وكافية لأن تذهب جيلاً من العجزة وشيوخ الهمم الإذلاء الذين درجوا في ساحات الذل ، وشبوا وشابوا تحت كلال الاستعباد ، والسخرة المقيتة وتلك حكمة الله في تذكير الأمم بأيام الله لتتعظ وترجع إلى الله وتتدرع بالعبر والمثلات وحسن الإقضاء ، نعم إن أيام النكبات عند العقلاء أعظم من أيام الرخاء والهناء ، وأيام البلاء في حياة المسلمين أزهى

أيامهم ، وأجدي عليهم نفعاً وأبقى ذكراً وأخذ أثراً ، والمؤرخون الحقيقيون هم الذين يعنون بذكر جانب الاعتبار زمن الأحداث التاريخية الكبرى ، لأولئك الذين يسردون الوقائع سرداً ، ليدرس الناس أسباب سقوط الدول وأسباب عزتها ، وتكون مؤلفاتهم خير معوان للأجيال المقبلة لتنتكب طرق الشر والشقاء ، وتسلك مسالك الرشد والهدى ، ولاإخال حديثنا الليلة يتناول غير ذلك الجانب الهم من الوقائع .

إن يوم بدر ، ويوم أحد ليعدان . باعتبار أثارهما . من عز أيامنا التاريخية ، فلقد كان الأول نصراً ، وكان الثاني كسراً ، أفكان يوم أحد شراً على المسلمين ، وهم يعلمون سبب الهزيمة ؟ إن القيم المعنوية في الرجال من زكاء النفس ، وعلو الهمة وطاعة أوامر الله ، هو الجانب المعتبر في حياة الرجال وذلك ما أتاح النصر للمسلمين  
يوم بدر  
وهم قلة ، وأن الطمع  
في الأسلاب

الحقيرة ، ومخالفة أوامر الرسول . صلى الله عليه وسلم . هما السبب في هزيمة المسلمين يوم أحد وهم كثرة ، وأن القوة المعنوية التي تسلح بها رجال بدر هي التي رجحت كفتهم ، ولئن استشهد منهم قليل فقد انتصر الباقي على عدو قوي البأس ، محارب بطل يفوقهم عدداً وعدة ، وشتان بين من يسترخص الموت من أجل الحياة وبين من يحاولها لإرضاء الشهوات ، شهوات الغلب ومحبة السمعة الزائفة ، ومحاولة تحدي سنن الله وإرادته الرامية للأخذ بيد المستضعف في الأرض ، وهو ما هزم المشركين يوم بدر وتركهم عظة وذكرى إلى يوم الدين ، وكذلك كانت واقعة أحد درساً قاسياً للمسلمين عرفوا به مصدر الداء ، داء الغرور ، ذلك المرض الذي ما أصيب به فرد أو جماعة إلا أهلكه فلا يغترن أحد بنفسه ، ولا يغرنه زهوه وخيلاؤه فإن الدائرة في الأخير لا تدور إلا على رأسه ، وإن من أعظم أدواء الغرور أن يلبس الإنسان غير لبوسه فيجني نتيجة هزيمة منكرة ، ومرارة مستديمة وتتعلل به قوة الفرد ، وقوى الجماعة ، وأي خير بعد ذهاب القوة ؟

وهل دارت الدائرة في غزوة أحد إلا على رأس المسلمين ؟ ثم إذا طوبنا صفحات من التاريخ ، وجئنا نعد أيام المسلمين الزاهرة كيوم اليرموك ، ويوم القادسية واجاندين وذكرنا رجالها وفي مقدمتهم خالد بن الوليد ، وعياض بن غنم ، وما أدراك من هما ، وتصورنا العقبات التي

لأقاها أولئك الأبطال في صلابة النفوس ووعورة المسالك ، وحادثة عهدهم بالنهوض سواء مع الفرس أو مع الروم ، عرفنا جلال عظمة تلك الأيام وعصامية أولئك الأبطال المغاوير ، وإذا ذكرنا أيام المسلمين الزاهرة التي مهدت للمسلمين فتح مصر ، وشمال إفريقيا ، والأندلس وذكرنا في تاريخ الأندلس مثلا " واقعة الأرك " و "الزلافة " ويوميهما ، وذكرنا عبد الرحمان بن معاوية الداخل وعبد الرحمان الناصر وتصورنا حضارة العرب بالأندلس . كما في الشرق . تمثلنا الإسلام في أروع مباهجه وأعلى مكارمه وأسما روحياته .

أضف إلى تلك الأيام يوما أغرا محجلا ماجدا في تاريخ المسلمين ألا وهو يوم حطين بفلسطين ، وفي عهد صلاح الدين ، وما صلاح الدين إلا رجلا كردي عادي لايملك من ألقاب الشرف والحسب شيئا كان يدعى يوسف بن أيوب وكفى ، ولكنه كان صلاح الدين وحمي حمى المسلمين بحق ، فهو قد رفع رأس المسلمين عاليا ، وحطم الصليبيين تحطيمًا ، ورد غاراتهم ردا قرر مصير حياة المسلمين بعد ذلك في جميع جهات العالم وأنقذ مكة والمدينة حيث مآزر الإسلام وفخار المسلمين .

أجل حارب الصليبيين الذين رابطوا قرب المعرة نحو مائة عام يستعدون لتسديد الضربة القاضية فهزمهم هزيمة شنعاء لم يعرف التاريخ نظيرها في تلك الأيام ، وهم قوم غلاظ شداد يحملون في نفوسهم حقا على الإسلام والمسلمين طالما غذاه القساوسة والرهبان في أوروبا بمختلف أنواع التغذية المسمومة ، الراجعة إلى خبث الطوية ، وفساد التربية وسوء التوجيه ، أولئك هم الصليبيون الذين حاربهم صلاح الدين وتلك بعض صفاتهم وألئك هم الذين ماتزال بعض سماتهم ماثلة للعيان في بعض الأمم حتى في أيامنا هذه ، بلى إن الأرك والعقاب بالأندلس وحطين بفلسطين واليرموك بالشام والقادسية بالعراق ، وبدر بالحجاز هي أسماء أماكن وقعت فيها غزوات ولكنها لاتدل في فهمي أنا " فهي القليل للأشياء " إلا على درس خالد في الوطنية العليا ، إذ خلود الأماكن خلود للأوطان وإن في حياة خالد وعبد الرحمان الناصر ، وصلاح الدين الأيوبي وما أتوا من خوارق العادة لأعظم درس في سير الرجال ، وخلود الأبطال ، ولإن من حافظ على الأوطان ولم ييخس الرجال حقهم ذهب في

الذاهبين ، وهل يمكن أن يحفظ القلب في غير جسد ؟ وهل ينسى المسلمون تلك الأماكن وأولئك الرجال ؟

نعم كانت بدر موقعة حاسمة في تاريخ المسلمين كما كانت الوقائع الأنفة الذكر في غالبها نصرا مبينا ، وما كان الدين الإسلامي ليبيح الحرب ، وما كان ليحببها على النفوس ، بل يبشع بها وبمثيرها ولكنه يحب السلام ، ويدعو إلى الإسلام إلا إذا اضطر إليها اضطرار ليدفع الشر بالشر ، وهناك يخوضها المسلمون في غير هواده حتى إذا وضعت الحرب أوزارها رجعوا إلى البناء والتعمير ، ونشر العلم والعدالة والإخاء بين الناس وراحوا يصفون حتى المحاربين المعتدين وما أكثر هؤلاء وما أصدق قول الشاعر في هذا المعنى :

تعدو الذئاب على من لاكلاب له                      وتتقي صولة المستأسد الحامي  
وما أصدق قول حكيم العصر ، شوقي في نفس المعنى :  
ألم تر أنهم صافوا وتاهوا                      وسدوا الباب عنا موصدنا  
ولو كنا هناك نجر سيفا                      وجدنا عندهم عطا ولينا

وهذه حقيقة الإسلام ، وهذا هو التاريخ الإسلامي ، فليقتد المسلمون وليؤوبوا إلى الله ، وليذكروا بأيامهم وليقبلوا على العلم وفقنا الله وأياكم لما يحبه ويرضاه .

\* \* \*

## ملحق 12:

هذا الملحق هو عبارة عن رسالة أرسلها إلى صديقه محمد صالح رمضان :

بسم الله الرحمن الرحيم

سكيكة 15 يناير 1953

عزيزي محمد صالح رمضان ، مدير مدرسة دار الحديث بتلمسان حفظه الله ، سلام وتحيات وأشواق...

وبعد فقد صرفني عن مكاتبتكم طيلة هذه المدة شؤون إدارية ومدرسية لم أكن جراها من انصاف حتى الصداقة والأصدقاء فأقدم على الأقل بعض ما لديهم علي من حقوق، إن الأعمال التي جعلت منا أشخاصا آليين ل يتركون إلا كما تهوى يخشى كثيرا أن تقتل فينا روح الانتاج الأدبي والفكري، بل وإن تدعنا أشباحا بل أرواح أحس من نفسي تتأقلا حين أحاول رفع القلم ، وأحس أن القلم يتعاصى حين أريد الكتابة والتعبير وما أدراك ما التعبير؟ أخاله يسارع في الانحدار إلى العامية الركيكة ، فلم أعد راضيا على أية كتابة أكتبها ، ولا على أي تحرير أحرره ،أخال أن :البصائر"قد أصبحت جريدة بسيطة عادية ، لا تحمل أية مقالات تستدعي التأمل والتفهم ، وأحسب كل ما يرد علينا من المجلات الشرقية لم يعد يسمن ويغني ، وحتى الأستاذ الكبير "أحمد أمين" لم يجئنا بجديد في كتابه "يوم الإسلام" .

وإن تضحك فاضحك ، بأني أصبحت أميل إلى مطالعة مجلة "سندباد" ومثيلاتها التي تعنى بالقصص البدائي أو الابتدائي ، وأجدني في شبه فلاة ملؤها السكون الرهيب ، وعمادها الفراغ السحيق الذي لا يكاد يدرك له مدى إلى أين ألجأ؟ لجأت إلى القرآن أتلوه وأتلوه فوجدت -والحق يقال- فيه ما أغنى وكفى ، ومن الناحية الروحية واللفظية والبيان... فأكتفي بتلاوته وحده ، وأصم آذاني حتى عن سماع أم كلثوم في نهج البردة ؟.

أما نشرات الأخبار ،وسفاسف الأفكار فما أغناني عن إضاعة ثانية واحدة من وقتي في سبيلها.

يبدو لي أحيانا ،أن الفرار إلى القديم هو وحده الذي أجد فيه الخلاص من أوضار هذا الذي يسمونه "الحديث" ولاسيما في ميدان الأدب والانتاج الفكري حاشا العلمي الرائع ،وأحيانا أجدني أسام حتى ذلك النوع من القديم البالي الذي يتسم بسمة السجع ، والغرابة اللفظية ، والمعاني المعقدة البعيدة الإدراك ،فأظن بنفسي الظنون ،واتهمها بالعجز والكسل ،والميل إلى الغث السهل الهضم وهل أدري من الأصدق منا...؟

كان الرئيس "الإبراهيمي" يتحفنا أحيانا ببعض روائعه فتغيب وطال غيابه المادي والأدبي ف شعرنا بنوع من الفقر والحاجة ، أفكان لذلك دخل حتى على هممن وأقلامنا وأحاسيسنا وخلجات نفوسنا ؟ لا أدري ولكن بعض ذلك كائن.



أما التعليم فلا تسأل عن نفمتي عليه ،وضعفه وانتاجه ورجاله ،وحتى هؤلاء البلابل من التلاميذ لم أبق راضيا على نتاجهم ، على أنني لا أبرئ نفسي من أن تتحيز فتدعي النجابة في بعض المرات على الأقل ثم إذا أمنت اتهمتها بالبلادة المطلقة ، أرجوان لانكونوا شيئا يشبهني ...ورعاك الله لأخيك هذا ،وأبنائك وحتى لأحفادك ، أمين.

أخوك "محمد المنصوري الغسيري"